اللغة والسياسة

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر

الدكتور محمد محمد داود

كلية التربية - جامعة قناة السويس .



الـــكـــتـــــاب : اللغة والسياسة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر
المؤلـــــــــــف : د. محمد محمد داود
رقـــم الإيـــداع : ٢٢٠٢
تـاريـخ الـنشـر : ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 -699 - 7

الـــنــــاشـــر : دار غـريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤
الـــتـــوزيـــع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

* إلى شهداء الانتفاضة
  الذين تسيل دماؤهم ثمناً للحق
* إلى الصامدين في وجه خداع السياسة
  وطغيان الساسة
* أما الذاهلون فسوف يفزعهم شرٌّ قادم
  ولن يجدوا من يرثي لهم

محمد داود

ثبت الموضوعات

مقدمـــة

هذه محاضرات تتناول موضوعات ساخنة وقضايا لاهبة من واقعنا الذى نعيشه ألمًا ومعاناة، حتى صار فى قلوبنا مأتمًا.

ونشطت همتى لأن نصنع شيئًا على مستوى الوعى والبناء الفكرى لشباب الأمة، أردت به أن نتجاوز حدود تفريغ شحنات الغضب عند الشباب فى كيل السِّباب والشتائم للعدو، ويكون ذلك منتهى أمرنا. شىء مخجل ومؤسف أن نكون ظاهرة صوتية.

وتصحيح الأفكار واسترداد الوعى يمثل البداية الصائبة والجادة، لأن نغير ما بأنفسنا من علل أو خلل.

إنها هموم أمتنا وآلام واقعنا، وإهمالها دون مواجهة ومعالجة معناه أن تأتى علينا هذه الهموم وتفتك بنا هذه الآلام.

لقد أردت بمناقشتها من منظور لغوى أن لا تمر المحنة دون أن نُعلِّم أبناءنا الدرس، وعلى قدر ما أثارت هذه القضايا من هموم وأحزان فإنها – فى الوقت نفسه – حملت دلالات وبشارات للأمة، تمثلت فى إقبال الطلبة على مناقشة هذه القضايا، وبذل الجهد فى البحث عن حقائق هذه الأمور، وهذا يؤكد لنا أن شبابنا ما ذاب فى الآخر ، ولا تخلى عن أصالته، وأنه لا يقل عن أسلافه فى الاستعداد للتضحية والفداء، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن هذه المحاضرات تناولت قضايا سياسية من منظور لغوى، وهو جانب تفتقر إليه المكتبة العربية، ولعل فى هذه البدايات ما يشجع سبر أغوار هذه القضايا؛ فالعلم هو القوة وهو أساس الحضارة.

ولعلّي أعود إلى هذه المحاضرات فأعمّق مباحثها وأحيط بقضاياها لنلتقى فى إنجاز آخر أكثر نضوجًا وعمقًا.

والله الموفق

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

ت : ٥٦٨٥١٢٢   فاكس ٥٦٩٤٢٠٢

السياسة

بين اللغة والاصطلاح

١ - السياسة لغويًا.

٢ - السياسة اصطلاحيًا.

٣ - السياسة والفكر الإسلامى.



كلمات مادة (س و س) فى العربية:

كلمة «سياسة» فى العربية مصدر للفعل (ساس) من المادة (س و س)، وقد وردت كلمات كثيرة من هذه المادة فى نصوص الشعر الجاهلى، والنثر الجاهلى، والحديث النبوى الشريف، والمعجمات العربية، ولم ترد الكلمة ولا أى من مشتقات مادتها فى القرآن الكريم، ووردت الكلمة ومشتقاتها فى العربية المعاصرة مع تطور دلالتها عن طريق تخصيص دلالتها أو تعميمها، أو عن طريق الانتقال الدلالى.

ولعل أقدم معنى ورد للكلمة فى القديم هو المعنى الحسى الذى ذكره ابن منظور وبدأ به شرح المادة:

السُّوس والسَّاس: لُغتان، وهما العُثَّةُ التى تقع فى الصُّوف والثياب والطعام، ومنه قول زُرارة بن صَعْب حين قدم له طعام أصابه السوس:

قد أطعمتنى دَقَلاً حَوْلِيًّا مُسَوَّسًا مُدَوِّدًا حَجْرِيًا

ومن شرح ابن سيده للبيت قوله: السُّوس العُثٌّ، وهو الدود الذى يأكل الحب، واحدته سوسة، حكاه سيبويه، وكل آكل شىء سوسه دودًا كان أو غيره[1].

وكما يُطلق السُّوس على الدود الذى يصيب النبات فيأتى عليه، يطلق أيضًا على الداء الذى يصيب عجز الدابة حتى يأتى عليها، والجامع بين الدلالتين: أن كليهما داء يأتى على الشىء.

---

(١) لسان العرب، والمخصص، مادة (س و س).

ويمكن استنباط الملامح الدلالية للمعنى الحسى السابق (السُّوس)، وإجمالها فيما يلى :

١ – الخفاء.

٢ – التدرج فى تحقيق المقصد، فهو لا يأتى على الشىء مرة واحدة. وإنما شيئًا فشيئًا.

٣ – الحيلة والمكر.

وتتأكد هذه الملامح بتأمل التشبيه المعاصر لمن يسعى لمقصده (خيرًا أو شرًّا)، بنوع من الحيلة والمكر فى خفاء وتدرج بقولنا : فلان سوسة.

وهذه الملامح تظهر فى بقية دلالات المادة، مع تنوع الدلالات الفرعية للمادة فى علاقتها بالأصل الحسى قوة وضعفًا بحسب قربها أو بعدها منه.

كما سيظهر من العرض الآتى:

٤ – السَّاسُ : القادح فى السنّ، أى الذى تأصل وضرب فى الزمن، ويظهر هنا ملمح التدرج بوضوح، وهو الجامع الدلالى لهذه الدلالة مع الأصل الحسى للمادة.

٥ – السُّوس: الأصل والطبع والخُلُق والسجيَّة، يقال: الفصاحة من سوسه، والشجاعة والصدق ... إلخ، أى : من طبعه، ويظهر هنا ملمح التدرج حيث لا يتكون الطبع مرة واحدة، وإنما بمرور الوقت.

٦ – ساس الدوابَّ يسوسها سياسةً، إذا قام عليها وراضها، وذلك لغرس وتأصيل الصفات المرغوبة، وهنا يظهر ملمحان : التدرج والحيلة.

٧ – السياسة : القيام على الشيء بما يصلحه، وساسَ الأمر سياسةً: نهض به، وهذا هو المعنى الذى أخذ منه سياسة الرعية، يقال: ساس الوالى الرعية يسوسها سوسًا وسياسةً، إذا ملك أمرهم، ومنه فى الحديث الشريف : «كانوا بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم»[1] أى: تتولى أمورَهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية.

والسياسة نوع من الاهتمام والرعاية والقيام بالشئون بهدف بلوغ مقاصد بعينها تعدُّ أصولاً للحياة الإنسانية، والتدرج والخفاء والحيلة ملامح واضحة فى هذه الدلالة وما بعدها من الدلالات.

٨ – ويتصل بالمعنى السابق : السياسة بمعنى القيادة والتوجيه فى كل الأمور، كما فى قول الشاعر :

سادةٌ قادةٌ لكلِّ جميعٍ ‏ ‏ ‏ سَاسَةٌ للرجالِ يَوْمَ القِتالِ

أى : يوجهونهم نحو المقاصد والأصول المرغوبة.

٩ – يُوصف الرجل المجرب المحنَّك بالسياسة، فيقال: هذا رجلٌ ساسَ وسِيسَ، أى: أُمِّر وأُمِّر عليه، وهى من كنايات العموم، أى: خَبَرَ الأمور كلها حلوَها ومرَّها، فتأصلت فيه الحكمة والتجربة.

١٠ – سَوَّسَ فلان لفلانٍ أمرًا : زَينه وسهله وسوَّله، فركبه، كأنما جعله طبعًا راسخًا متأصلاً فيه لا يستطيع أن يتخلى عنه.

يتحصل مما سبق أن الجذر (س و س) يدور حول معانى : التجربة، والحنكة، والقيادة، والرعاية، والإصلاح، وهى أصل وجماع الخبرة البشرية.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٢١ .

السياسة وعلم السياسة Politics and Politics Science :

تتعدد تعريفات السياسة؛ بسبب اتصال السياسة بكل نواحى الحياة. ومن هنا فإن علماء كل تخصص يركزون فى تعريفهم على الجانب المهم فى تخصصهم، فالاجتماعيون يرون أن السياسة نشاط اجتماعى، والسلوكيون يرون أن السياسة هى فن ضبط وتنظيم سلوكيات الناس بينهم وبين بعض وبينهم وبين الحاكم، وأهل الفلسفة يرون أن السياسة هى فلسفة الحكم، والواقعيون يرون أن السياسة هى فن الممكن على أرض الواقع، ويرى الإداريون أن السياسة هى فن القيادة.

ومن بين التعريفات الاصطلاحية للسياسة التى تتسم بالدقة والشمول التعريف التالى:

السياسة هى: النشاط الاجتماعى، الفريد من نوعه، الذى ينظم الحياة العامة، ويضمن الأمن، ويقيم التوازن والوفاق، من خلال القوة الشرعية والسيادة بين الأفراد والجماعات المستقلة، على أساس علاقات القوة، والذى يحدد أوجه المشاركة فى السلطة بنسبة الإسهام والأهمية فى تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعى وسير المجتمع[1].

علم السياسة :

البداية :

بدأ علم السياسة فى إطاره الحديث على شكل حوار قام به سقراط وأفلاطون مع السفسطائيين الذين حاولوا تجريد السياسة من عامل القيم الخلقية.

---

(١) راجع: موسوعة السياسة، حرف السين.

وجاءت « جمهورية » أفلاطون نتاج دراسة لأنظمة وفلسفات الحكم المختلفة، ومدى ارتباطها بهدف تحقيق الصالح السياسى العام للمجتمع، أما أرسطو - الذى يعتبر رائد علم السياسة - فقد حاول رسم معالم السياسة عن طريق دراسة أسباب انهيار الحكم والدول، وأسباب النجاح، وأفضل طرق تحقيق الاستقرار، وفن الحكم والدولة دون قيود أخلاقية.

وفى عام ١٨١٣م اقترح المفكر الاشتراكى المثالى « سان سيمون » بأن تتحول السياسة والأخلاق إلى علوم « وضعية »؛ بأن تستند إلى الدليل الموضوعى عوضًا عن المفاهيم والنظرات الذاتية، كى يتحقق لها الرقى والتقدم عن طريق الوقوف على أسباب التقدم الاجتماعى.

تعريف علم السياسة:

علم السياسة هو الدراسة المنهجية العلمية لمسألة الحكم بوجوهها المختلفة، عن طريق تطبيق الأساليب العلمية فى المراقبة والقياس والتحليل. أى : هو دراسة السياسة دراسة علمية.

وتطور علم السياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية بتطور دراسة العلوم المنهجية لدراسة الدولة على أسس مبنية على تحديد المفاهيم، ونحت التعريفات وإجراء المقارنات، لتصبح السياسة علمًا مستقلاً عن التاريخ والاقتصاد والفلسفة الأخلاقية، وأصبح لعلم السياسة مناهج متنوعة ونظريات تمثل اجتهادات العلماء فى هذا العلم .

وركزت المدارس الأمريكية الحديثة على دراسة الجوانب الاجتماعية، حتى ظهرت مدرسة شيكاغو ودراستها للسلوك الانتخابى والنتائج الانتخابية

وأساليب الاستفتاء واستطلاع الرأى العام، بالإضافة إلى علماء السياسات مثل : «جماعات الضغط» و«اللوبى» و «الحكومة الخفية» التى تحرك الحكومات المعلنة، ودور الزعامة والأحزاب السياسية، بالإضافة إلى الدور المهم للمدرسة السلوكية فى علم السياسة.

السياسة والتعبير اللغوى :

لما كانت السياسة تتصل بكل جوانب الحياة دخلت كلمة «السياسة» فى تعبيرات لغوية عديدة فى العربية المعاصرة، أهمها:

● كلام سياسة :

بمعنى أنه كلام لترضية الآخر وتهدئته، وقد لا تتحقق وعوده، ونجد هذا التعبير فى قولنا:

□ أكثر المرشح فى الانتخابات من الوعود البرَّاقة، فقال بعض الحاضرين: هذا كلام سياسة.

● سياسة الأجور :

هى السياسة التى ترمى إلى تحديد الأجور فى بلد ما فى إطار شامل، وقد تكون وسيلة لمعالجة التضخم ضمن خطة اقتصادية، ولتحقيق العدالة الاجتماعية؛ وذلك بالعمل على ربط سياسة الأجور بمستوى الأسعار.

ومن الأمثلة على هذا التعبير:

□ انتهت حكومة عاطف عبيد من وضع سياسة للأجور تتناسب مع غلاء الأسعار.

● **سياسة الاستثمار :**

بمعنى تنمية الربح – من خلال تحسين وسائل الإنتاج – وتحويل المال إلى رأس مال منتج، ومن أمثلة هذا التعبير فى العربية المعاصرة :

□ الانفتاح الاقتصادى يركز على إحياء ودعم سياسة الاستثمار فى مصر.

● **سياسة الأسعار :**

تنظيم الأسعار بين القطاعات المختلفة ونظم مراقبتها مع مراعاة العرض والطلب، بما يحقق المصلحة للمنتج والمستهلك، ومن أمثلة التعبير فى العربية المعاصرة :

□ الدولة تلعب دوراً مهمًّا فى مواجهة التضخم برسم سياسة للأسعار تتناسب مع ظروفنا الاقتصادية.

● **سياسة الأمر الواقع :**

وتعنى : تعمُّد تغيير الأوضاع بشكل عملى وبدون مسوغ قانونى أو شرعى عن طريق إنجاز أمر ما يتعذر الرجوع عنه، أو إعادة الأمور إلى ما كانت عليه، بهدف إرغام الطرف الآخر على الرضوخ للأمر الواقع.

ومن الأمثلة على هذا التعبير فى العربية المعاصرة :

□ إسرائيل تتعامل فى فلسطين بسياسة الأمر الواقع.

● **سياسة الباب المفتوح :**

هى ترك فرصة للحوار وعدم حسم الأمور نهائيًّا.

ومن أمثلته فى العربية المعاصرة :

□ الرئيس مبارك يستخدم سياسة الباب المفتوح مع الحكومات العربية.

● **السياسة الشرعية :**

يطلق مصطلح السياسة الشرعية فى الفكر السياسى الإسلامى، ويُراد به: السياسة التى تعتمد على نصوص القرآن والسنة، وتدور فى إطار الشريعة الإسلامية، وقد ألَّف بعض العلماء مصنفات بهذا العنوان، منها: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، لابن تيمية، ومن أمثلتها فى العربية المعاصرة:

□ السياسة الشرعية روحها العدالة وابتغاء مرضاة الله عز وجل.

● **السياسة فى الفكر الإسلامى :**

بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة، تحولت الدعوة من المستوى الفردى إلى مستوى بناء المجتمع والدولة الإسلامية، وأخذ تنظيم الدولة أشكالاً من الممارسات السياسية، منها على سبيل المثال :

* المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

* كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم.

* إرسال الوفود كسفراء ودعاة إلى الدول المجاورة لعرض قضايا الإسلام والدعوة إليه.

* استقبال الوفود بمسجده ﷺ.

* المعاهدات والصلح (صلح الحديبية).

* إرساء مبدأ الشورى الذى أمر به القرآن الكريم، فيما لم ينزل فيه نص قاطع.

• مرحلة الخلفاء :

بعد وفاة النبى ﷺ اخذت الممارسات السياسية أنماطًا تتناسب مع ظروف تلك المرحلة، فقد انقطع الوحى، وانتقل النبى ﷺ إلى جوار ربه، وأصبح هناك خليفة «أمير للمؤمنين» وأخذت البيعة شكلاً من أشكال الممارسة فى تنظيم إسناد السلطة العليا.

ومع توسُّع الدولة الإسلامية توسعت الممارسات السياسة الخاصة بتنظيم أمور الدولة الإسلامية وشئون الرعية فيها، وأهم ما يميزها هو انطلاقها من القرآن والسنة، ولذلك أطلق الفقهاء عليها اسم السياسة الشرعية، ويظل الحال هكذا حتى نهاية الدولة الأموية.

• إسهامات المسلمين فى الفكر السياسى:

مع قيام الدولة العباسية نرى نشاطًا ملحوظًا فى التشريع الإسلامى عامة، ومنه التشريع السياسى، فالعهد العباسى هو عهد الأئمة الأربعة، ونرى اجتهاداهم فى استنباط الأحكام المالية والجنائية.

وتجلت فى كتب الفقهاء والمحدثين فى هذه المرحلة ألوانٌ من الممارسات السياسية، أهمها :

الخلافة، والإمارة، والبيعة، وطاعة الإمام، وأعوان الأمراء (البطانة)، وبعض أحكام نظم الإدارة مثل : أحكام الزكاة، والجهاد، وبيت المال، والجزية، والقضاء، والحسبة ... إلخ.

ومن أهم الكتب التى وضعت فى هذه الفترة كتاب الخراج، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى (ت ١٨٢هـ)، وهو من أصحاب أبى حنيفة النعمان الذى أقام مدرسته الفقهية على الرأى، وفيه مسائل من الشورى والعدل والتعامل مع الرعية، والخراج والزكاة والجزية والغنائم والجنايات والقضاء ... إلخ.

وهناك من مدرسة أبى حنيفة أيضًا: محمد بن الحسن الشيبانى (ت ١٨٩هـ) الذى ألف كتابه : السِّير الكبير، وتناول فيه نظم الحرب والعلاقات الدولية وموقع الأجانب من الدولة.

فإذا ما وصلنا إلى القرن الرابع الهجرى، رأينا أبا نصر الفارابى، (ت ٣٣٩هـ) الفيلسوف المشهور، يؤلف كتابه : «آراء أهل المدينة الفاضلة» وقد عالج فيه نظم الدولة.

وفى القرن الخامس الهجرى نجد الماوردى (ت ٤٥٠هـ) يؤلف: «الأحكام السلطانية» وهو رائد مشهود له فى هذا المجال.

وبعده بقليل فى مطالع القرن السادس الهجرى نرى الإمام أبا حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ) يؤلِّف عدة كتب فى الفكر السياسى الإسلامى أشهرها: «التبر المسبوك فى نصيحة الملوك».

إلى أن جاء ابن تيمية فى القرن الثامن الهجرى (ت ٧٢٨هـ) ومن أبرز ما صنف فى الفكر السياسى، كتابه : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية.

وفى القرن التاسع الهجرى يأتى ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) حيث وضع فى مقدمته البدايات الأولى لأسس علم جديد هو: «العمران البشرى»، أو ما يعرف الآن بعلم الاجتماع.

هذه نماذج فقط من إسهامات علماء المسلمين فى الفكر السياسى، والذى يجمع بين جميعها هو قيامها على الكتاب والسنة، أى أن السياسة فى الإسلام لم تتخلَّ عن الأخلاق ولم تتنكر للقيم، فالحق والعدل والحرية وكل القيم التى دعا إليها الإسلام فى السياسة الشرعية (الإسلامية) ليست للمسلمين وحدهم، وإنما هى للناس كافة، فهى إذن سياسة تحفظ حق الآخر، وتضمن له الحماية والحرية والعدالة ، وكافة الحقوق.

السياســـة

والرموز اللغوية

السياسة والرموز اللغوية

ليست اللغة أداة لمسرح الأحداث السياسية فقط، وإنما تُعد اللغة جزءاً من الأحداث السياسية نفسها، فهي تشكل معنى الأحداث، وتساعد على تشكيل الأدوار السياسية والسلوك العام للشعب؛ لذلك تتكامل اللغة مع الأحداث، كل منها يكمل الآخر، ويحدد كل منهما معنى الآخر والقصد منه.

فبالنظر – مثلاً – إلى الرموز اللغوية التالية :

« الأمن »، « الأمن القومى »، « أمن الدولة »، « المخابرات ».

نجد أنها تؤثر فى السلوك السياسى لدى العامة حين تستخدم بعض الحكومات هذه الرموز اللغوية لإثارة العامة وتحفيزهم إلى تقديم المزيد من التنازلات والتضحيات فى أوقات الأزمات، ومواجهة أعداء الدولة.

أيضًا قد تتسبب نفس المصطلحات فى إثارة نوع من القلق لدى أفراد الشعب حين تلجأ الحكومة لفرض قوانين استثنائية للسيطرة على الأمن، وأوضح مثال على ذلك : قانون الطوارئ فى مصر. فإن كثيراً من أفراد الشعب ينتابهم القلق بسبب قانون الطوارئ والخوف من إساءة استخدامه.

لابد من أن نضع فى الاعتبار الآثار التى تعكسها اللغة السياسية على فكر الناس ومشاعرهم وسلوكياتهم.

● الخطاب السياسى واستثارة الرموز :

يلجأ الخطاب السياسى إلى استثارة الرموز فى عقول ونفوس المخاطبين من أفراد الشعب كى يتمكن من تحقيق هدفه.

فحين يكون الهدف صرف الناس عن أمور معينة فإنه يصف هذه الأمور،

وتلك الأعمال بأنها : تمرد، تخريب، خيانة، مناهضة للسلطة، قلب نظام الحكم، جماعة محظورة، إرهاب، تطرف ... إلخ.

وفى المقابل فإن نفس الأمور يمكن وصفها بأوصاف إيجابية تثير فى النفس الرضا، وفى العقل اقتناعًا، فيمكن مثلاً أن نجد الأوصاف التالية :

ضحايا الفقر، أو ضحايا الجهل ، أو ضغوط نفسية ... إلخ.

ولنضرب مثلاً على هذه المفاهيم : يمكن وصف السجين بأنه : سفاح، ومجرم، ويمكن وصفه بأنه ضحية الفقر، أو مضطرب العقل.

وما من شك فى أن هذه التعبيرات السياسية هى رموز لغوية تثير فى عقولنا ونفوسنا اهتمامًا خطيراً يؤثر على نظرتنا للقضية أو الشخص.

ونجاح السياسة أو فشلها فى الوصول إلى أهدافها فى الإقناع والتواصل مع الشعب وتوجيه أفراده نحو الهدف السياسى المطلوب، يتوقف على حسن توظيف الرموز اللغوية التى لها رصيد فى عقول ونفوس أفراد الشعب.

وعلى المستوى العالمى تظهر هذه الحقيقة فى إطلاق أمريكا جملة من التعبيرات السياسية، واستخدامها كرموز لغوية تثير فى نفوس الشعوب التعاطف مع موقف أمريكا، والاقتناع به أو تبريره – على الأقل – للشعب الأمريكى، ليظل مسانداً لحكومته، ومؤيداً ومناصراً لها.

وتظهر ازدواجية الخطاب السياسى الأمريكى فى عدة تعبيرات راجت بصفة خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ومن هذه التعبيرات :

● **الحرب ضد الإرهاب :**

هذا الرمز اللغوى يثير فى النفس الكراهية والعداء لكل ما هو إرهابى،

ولكن الإرهاب فى نظر أمريكا كل ما يخالف مصلحتها، ولا يكون تابعًا ومسلِّمًا لها.

فإرهاب الدولة الذى ترتكبه إسرائيل تسميه أمريكا : حق الدفاع عن الأمن، فى حين تطلق أمريكا على مقاومة المحتل أنه : إرهاب، والإرهاب الأمريكى الذى يتدخل فى شئون الدول وينتهك سيادتها، لا تسميه إرهابًا !!

وُجِّه إلى العالم اللغوى الأمريكى نعوم تشومسكى هذا السؤال :

* هل يمكن الفوز بما يُسمَّى : حرب الأمة على الإرهاب؟

فكانت إجابته : بأن الولايات المتحدة نفسها دولة إرهابية، وساق على ذلك شواهد عديدة[1] :

* تعرضت نيكاراجوا فى الثمانينات لهجوم عنيف من قبل الولايات المتحدة راح ضحيته عشرات آلاف من سكانها، لقد دمر ذلك البلد تمامًا، وربما لن يستطيع إعادة بناء ما دمر أبداً. كان ذلك الهجوم الإرهابى الدولى مصحوبًا بحرب اقتصادية طاحنة، لم تستطع دولة صغيرة، تحاصرها قوة عظمى قاسية، تحمُّلها كما يصف مؤرخو نيكاراجوا الكبار من أمثال توماس ووكر. إن آثار ذلك الهجوم على نيكاراجوا أقسى بكثير من المآسى التى حدثت فى نيويورك فيما بعد. لم ترد نيكاراجوا بإلقاء القنابل فى واشنطن، بل لجأت إلى المحكمة الدولية التى حكمت لصالحها، وأمرت الولايات المتحدة بالتراجع ودفع تعويضات كبيرة. تجاهلت الولايات المتحدة قرار المحكمة باحتقار، وردت فوراً بتصعيد الهجوم؛ لذا لجأت نيكاراجوا إلى مجلس الأمن الذى ناقش قراراً يدعو الدول إلى الانصياع للقانون الدولى، وصوتت ضده الولايات المتحدة منفردةً

(١) ١١ سبتمبر، نعوم تشومسكى ، القاهرة ، ميرييت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٢، ص:٢٦، ٢٧، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩.

بالرفض مستغلة حق الفيتو. وحينما لجأت نيكاراجوا إلى الجمعية العامة حصلت على قرار مماثل لم يصوت ضده إلا الولايات المتحدة وإسرائيل فى عامين متتابعين، وانضمت السلفادور لهما فى أحدهما.

* تحاول الحكومة الأمريكية الآن استغلال الفرصة من أجل فرض أجندتها الخاصة : خطط التسليح بما فيها نظام الدفاع الصاروخى، تسليح الفضاء من خلال التشفير، القضاء على البرامج الديمقراطية الاجتماعية، وتقويض الاهتمام بقضايا مثل: الآثار السلبية للعولمة الرأسمالية، والبيئة، والتأمين الصحى، وخلافه. وكذلك خلق أُطر مؤسسية للنظم التى تؤدى إلى توجيه الثروة لأقلية محدودة، مثل منع ضرائب الشركات، وزيادة سلطة النظام فى المجتمع للقضاء على النقاش العام والمعارضة.

ويتساءل تشومسكى : ماذا عن التحالف بين الولايات المتحدة وروسيا والصين وإندونيسيا ومصر والجزائر ؟

ثم يُجيب : كلهم فى منتهى السعادة لنشوء نظام عالمى ترعاه الولايات المتحدة، يمكّنهم من تنفيذ فظائعهم الإرهابية. روسيا مثلاً ستسعد جداً للحصول على دعم الولايات المتحدة فى حربها الوحشية ضد الشيشان؛ فنفس هؤلاء «المتأفغنين» يحاربون روسيا، وكما الهند فى كشمير، ستحصل إندونيسيا على الدعم الذى ترجوه لمجازرها فى إقليم أكيه (ACEH). والجزائر ستنشرح أيضًا للحصول على التصريح بمد إرهاب الدولة الذى تمارسه. ينطبق الأمر كذلك على الصين فى حربها ضد القوات الانفصالية فى المقاطعات الغربية، تلك القوات التى تضم مجموعة من الإسلاميين الذين كانت الصين وإيران قد دربتهم ليحاربوا روسيا، ربما منذ ١٩٧٨، كما تشير بعض التقارير. وهكذا تسير الأمور فى مناطق كثيرة حول العالم.

* إن الولايات المتحدة مستمرة فى ممارسة الإرهاب الدولى، وهناك العديد من الأمثلة ، فحين وقع حادث أوكلاهوما كان الجميع مصدومين ويشعرون بالإهانة، ولمدة يومين كانت عناوين الصحف تقول : «أوكلاهوما صارت أشبه ببيروت». لم أجد من يوضح أن «بيروت أيضًا تشبه بيروت» ، وأن أحد الأسباب هو قيام إدارة ريجان بتفجير إرهابى هناك عام ١٩٨٥ شديد الشبه بتفجير أوكلاهوما، فقد فُجِّرت شاحنة أمام مسجد فى توقيت محدد لتقتل أكبر عدد ممكن من الناس عند مغادرتهم المسجد . وكما ورد فى تقرير للواشنطن بوست بعد ذلك بثلاث سنوات، قُتل فى هذا التفجير ٨٠ شخصًا وجُرح ٢٥٠ أغلبهم من النساء والأطفال. لقد استهدف هذا التفجير أحد رجال الدين المسلمين الذى لم يكن يروق لواشنطن، ولكنه نجا من الحادث ! لا أدرى أيضًا أية تسمية تطلق على سياسات تعتبر عاملاً أساسيًا فى موت حوالى مليون مدنى فى العراق ونصف مليون طفل تقريبًا كثمن تقول وزيرة الخارجية –« مادلين أولبرايت » آنذاك– إننا على استعداد على استعداد لدفعه، هل هناك اسم آخر لذلك ؟ ذلك بخلاف دعم الولايات المتحدة للفظائع الإسرائيلية.

ثم يسوق تشومسكى المزيد من الأمثلة على إرهاب الدولة الأمريكية، ومن ذلك قيام إدارة كلينتون بمنح تركيا ٨٠٪ من الأسلحة التى سحقت بها الأكراد فى واحدة من أبشع حملات التطهير العرقى.

أو لنأخذ مثال تدمير مصنع الشفاء للصناعات الدوائية بالسودان، سطر قصير فى سجل إرهاب الدولة سرعان ما نسيناه. كيف سيكون رد الفعل لو أن شبكة بن لادن قامت بتفجير نصف الإمدادات الدوائية فى الولايات المتحدة والمعدات اللازمة لإعادة توفيرها ؟ ذلك بغض النظر عن عدم عدالة المقارنة، فعواقب مثل هذا الفعل على السودان أشد بكثير. ماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة أو إسرائيل أو إنجلترا لو تعرضوا لمثل هذه البشاعة ؟!

أما فى هذه الحالة فنقول : يا للأسف، لقد وقع خطأ غير مقصود. لننتقل إلى الموضوع التالى ونترك الضحايا يتعفنون !

● العمليات الحربية منخفضة الشدة:

طُرِحَ هذا السؤال على تشومسكى : هل يمكن أن تُعَرِّف باختصار الاستخدامات السياسية للإرهاب ؟ أين يقع فى نظام المبادئ القائم؟

فأجاب[1] : إن الولايات المتحدة ملتزمة رسميًّا بما يسمى العمليات الحربية منخفضة الشدة Low-intensity warfare ، ذلك هو المبدأ الرسمى. ولو قرأت التعريفات المنضبطة للعمليات منخفضة الشدة وقارنتها بالتعريف الرسمى للإرهاب كما فى القانون الأمريكى أو الكُتيِّبات الصادرة عن الجيش، ستجد أنهما نفس الشىء تقريباً.

● محور الشر :

أطلقته أمريكا على دول ثلاث؛ هى : (العراق - إيران - كوريا الشمالية).

فإيران تتبنى الدفاع عن فلسطين ومهاجمة الصهيونية، والعراق التى أنهكتها حرب الخليج، لم يصبح لديها قدرة العدوان على دول الجوار، وإنما المسألة رغبة أمريكا فى وضع يدها على منابع البترول فيها لتكتمل سيطرتها على بترول الشرق الأوسط. وكوريا متهمة بأنها تصدر السلاح لكل من إيران والعراق !!

● الدفاع عن الحرية :

الحرية رمز يستثير الشعب الأمريكى، واستخدام هذا الرمز يحفز أفراد الشعب لمساعدة الحكومة ودعمها، وهو ما تمَّ توظيفه فى الإعلام الأمريكى،

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٠، ٦١.

حيث ترددت تعبيرات : الدفاع عن الحرية، الدفاع عن النفس... إلخ.

ومن داخل أمريكا يأتى التفنيد لهذه التعبيرات الفضفاضة والحجج الباطلة التى ينطبق عليها : كلمة حق يراد بها باطل، وجاء التفنيد فى بيان وقّعه كُتّاب وفنانون وأكاديميون أمريكيون(1). ومما ورد فيه :

« كلمة « الدفاع » تعنى : الدفاع عن الأرض القومية، وفى الحادى عشر من سبتمبر حدث هجوم على أرض الولايات المتحدة وضدها، ولم يكن هذا هجومًا تقليديًّا من قِبَل قوى تقليدية كبيرة تهدف إلى احتلال الأرض، بل كان – بالأحرى – ضربة مجهولة ضد منشآت مستهدفة، وفى غياب ادعاء المسئولية عن الأحداث، فإن الطبيعة الرمزية للأهداف يفترض أنها واضحة، فمركز التجارة العالمى يرمز بوضوح إلى القوة الاقتصادية العالمية للولايات المتحدة، وهكذا يبدو غير متوقع – البتة – أن هجمات الحادى عشر من سبتمبر موجهة رمزيًّا ضد « القيم الأمريكية » كما يُحتفَى بها فى الولايات المتحدة.

بالأحرى ، فإن الهدف الحقيقى يبدو أنه القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة كما تظهر فى الخارج، وطبقًا للتقارير فإن خمسة عشرة شخصًا من مُختطفى الطائرات التسعة عشر الذين تم تحديد هُويَّتهم كانوا سعوديين معارضين لوجود القواعد العسكرية الأمريكية فى الأراضى السعودية، وتُوحى هجمات الحادى عشر أن الدولة التى تُبْقِى قوتها فى الخارج مُعرضةٌ للهجوم بالداخل، لكن الأمر الحقيقى هو تدخل الولايات المتحدة فى الخارج. والواقع أن حروب « بوش » تهدف – بالتحديد – إلى الدفاع عن « قوة » الولايات المتحدة بالخارج. إن الذى تدافعون عنه هو القوة العالمية للولايات المتحدة، وليس الحريات الداخلية، وطريقة الحياة ... ».

---

(1) وثائق ثقافية، إصدار أكاديمية الفنون : القاهرة، 2002.

ومن حقنا نحن أيضًا أن نتساءل عن مفهوم الدفاع عن الحرية أو الدفاع عن النفس، هل هو حقٌ إنسانى جماعى؟ أم هو حقٌ للقوى العظمى التى لا تكترث بالموت والدمار الذى يحل بغيرها من البلاد الفقيرة؟ يقول الموقعون على البيان السابق: «الإنسانية لها الحق أن تدافع عن بقائها ضد قوىً عُظمى ليس لها رادع».

● رموز لغوية غامضة :

وقد تلجأ الحكومات إلى رموز لغوية غامضة عن طريق التعبيرات غير المحددة لمواجهة القلق والاضطراب لدى أفراد الشعب بشأن قضية ما.

فمثلاً إعلان بعض الحكومات أنها تعمل لرفع المعاناة عن الفقراء، ومساعدة محدودى الدخل، يُعطى انطباعًا بأن هذه الحكومة تعمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين والتعاطف معهم، على الرغم من أن هذه الحكومة تعمل على رعاية الأغنياء وأصحاب الاستثمارات.

● الرموز اللغوية والرأى العام :

تلعب اللغة السياسية دورًا بارزًا فى تكوين رأى عام حول هدف معين أو لصالح قضية ما.

وقد تستخدم الأزمات التى تمر بها الشعوب كرمز مثير لتحفيز أفراد الشعب للالتفاف حول قائده ومساندة حكومته.

وعن طريق اللغة تتم إعادة تشكيل الأزمة والحدث، مع انتقاء التعبيرات والكلمات التى تحظى برصيد وافر فى عقول ونفوس أفرادالشعب، وذلك على نحو ما حدث فى خطب الرئيس الأمريكى «بوش»، والتركيز على قيم ورموز لها مكانتها عند الشعب الأمريكى.

اللغـــة

فى عقول السياسيين



اللغة فى عقول السياسيين

● السياسة هى الدراسة العملية والنظرية لفن وعلم السيطرة والحكم. ولعلَّ الصراع والصدام بين الأفكار والمذاهب السياسية، وبين الأقاليم والشعوب، هو الذى يعطى السياسة هذه الحيوية وهذا السحر.

وتتسم العملية السياسية – بما فيها من أدوار متباينة – بمساحة من الاتفاق وأخرى من الاختلاف. والتقابل بين المساحتين يشكل بيئة خصبة لنمو الحلول الوسط، أو لنمو العداء والكراهية.

وللغة دور أساسى فى خدمة الأغراض السياسية، وتشكيل الوعى السياسى، إن دور اللغة فى السياسة لا يقل خطراً عن دور أسلحة الدمار فى أيدى العسكريين.

وفى معترك الصراع بعد أحداث ١١ سبتمبر، تمر اللغة بمنعطف خطير، حيث أصبحت – مع طغيان أمريكا وادعاءات اليهود – لصيقة بالخداع والاحتيال والتضليل، وكل الأساليب الخسيسة لسياسة أمريكا الإعلامية المعاصرة، وفى عباءتها اليهود.

● لقد أصبحت مهمة اللغة فى السياسة المعاصرة هى الدفاع بالباطل عن أقبح الجرائم، فقتل المدنيين العزل بالطائرات والدبابات، واحتلال الأرض، وهدم البيوت، وإتلاف الزروع، وتهجير السكان، والاعتقالات الجماعية، ومذابح جنين وصابرا وشاتيلا، كلها جرائم يدافع عنها بالباطل، حيث تطلق أمريكا وإسرائيل : الحرب ضد الإرهاب.

● وتتمادى إسرائيل فى ادعاءاتها بشأن أرض فلسطين والقدس، محاولة

طمس الحقائق وتهويد الأرض، وإضفاء الضباب والغموض على الحق الفلسطينى تحت شعارات مثل : «الأمن الإسرائيلى»، «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب».

● وسياسة أمريكا وإسرائيل تقوم على حشد كمٍّ هائل من الأكاذيب والمراوغات، بما فى ذلك اللجوء إلى التشبيهات والاستعارات الزائفة التى تُحَقِّرُ من شأن الفلسطينيين وتسلبهم كل حقٍّ إنساني، فالفلسطينيون فى نظر اليهود جرادٌ بالقياس إلى الإسرائيليين، تشير هذه الاستعارة إلى معنى الإبادة.

كما يُشبِّه الإسرائيليون العرب بالصراصير، وقد وصف «باراك» مقاتلى حزب الله بقوله : «إن الحرب ضدهم مثل الحرب ضد البعوض». لقد حولهم إلى حشرات، ومثل هذه الاستعارات القبيحة استخدمها الصهاينة لوصف لبنان فى نحو قولهم : «المستنقع اللبنانى».

فى حين أنهم يطلقون على أنفسهم أوصافًا فيها تمجيدٌ لهم، بأنهم دولة الديمقراطية والحضارة، ويصطفون أفضل التعبيرات السياسية لأنفسهم، مثل : الصقور والحمائم.

ويأتى دور الشائعات فى تحقيق الأغراض السياسية، حيث يضخ الإعلام الصهيونى ويردد كثيراً من الشائعات للوقيعة بين مصر وأمريكا، من ذلك اتهام «شارون» لمصر بتهريب أسلحة لدعم الانتفاضة الفلسطينية، كما أشاع «شارون» أنه قد نسَّقَ مع الرئيس حسنى مبارك أمور السيطرة على الانتفاضة للوقيعة بين الشعب الفلسطينى والحكومة المصرية، كما ادعى أيضًا أن مصر أخفت وتسترت على السفينة التى كانت محمَّلةً بالسلاح فى طريقها إلى فلسطين.

يضاف إلى هذا ادعاء « شارون » وإشاعته أن العراق قد هرب أسلحة الدمار الشامل إلى سوريا، ومنها إلى مقاتلى حزب الله فى لبنان، وادعاؤه أن العراق يؤوى بعض عناصر تنظيم القاعدة، ومعلوم أن العراق لا صلة له بتنظيم القاعدة، ولا يملك أى أسلحة للدمار الشامل، حيث لم يعثر مفتشو الأمم المتحدة على شيء من هذا.

أيضًا تستخدم أمريكا الشعارات البرَّاقة فى حربها الانتقامية ضد المسلمين والعرب، من هذه الشعارات : القضاء على محور الشر، حماية قيم الديمقراطية، حماية الحرية، تخليص المنطقة من ديكتاتورية صدام حسين، وحماية دول الجوار من اعتداءاته.

وكلها ادعاءات باطلة وشائعات مُغرضة، فإسرائيل تحاول أن تجنى من ورائها أهدافًا سياسية، تتمثل فى السيطرة على المنطقة، وإنشاء دولة إسرائيل الكبرى. بينما تحاول أمريكا أن تُعيد رسم خريطة المنطقة، بهدف السيطرة على بترولها وثرواتها، وحماية حليفتها إسرائيل وضمان تفوقها على العرب.

وهكذا يظهر أن اللغة مرآة فاضحة للنوايا والأفعال، فحين تسوء النوايا وتنتكس الأفعال، تنحدر اللغة وتسقط الكلمات.

الصـراع اللغوى
والقوميـــة

اللغة والقومية:

عن طريق اللغة يكون البناء الثقافى للشعب، وحين تتعدد اللغة بسبب الاستعمار مثلاً، وتوجد لغة رسمية ولغة غير رسمية، ولكل لغة منهما تراثها الثقافى، فإن هذه الازدواجية تؤدى إلى لون من الصراع بين لغة المستعمر واللغة الوطنية، حيث يجد المواطن نفسه بين اتجاهين :

الأول: اتجاه اللغة الوطنية التى تحمل تراثه وأصالته، بجذورها الضاربة فى التاريخ، وما تحمل من رصيد ثقافى وعادات وتقاليد تمثل هويته وخصوصيته التى تميزه عن غيره من الدول.

الثانى: اتجاه لغة المستعمر، فهى اللغة الرسمية التى يتم التعامل بها فى المصالح والمؤسسات المختلفة، والتعليم وخلافه. ولا يستطيع المواطن أن يعزل نفسه عن لغة المستعمر لأنها لصيقة بمصالحه وشئون حياته.

والأمثلة التطبيقية كثيرة على هذا الصراع:

- فى إطار اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ظهر الصراع واضحًا فى المناطق التى احتلتها فرنسا وإنجلترا خلال القرن التاسع عشر، وزيادة النشاط الاستعمارى لإنجلترا وفرنسا لكثير من بلدان العالم، على سبيل المثال : كندا.

ففى أثناء حرب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦م وفى عام ١٧٩١م قُسِّمَتْ كنَدَا إلى متحدثين بالإنجليزية فى الجنوب الكندى، ومتحدثين بالفرنسية فى الشمال الكندى، وسعت إنجلترا إلى إعطاء كندا الطابع الإنجليزى، فى مقابل نشاط ملحوظ من الجانب الفرنسى لدعم الجانب اللغوى الفرنسى فى المناطق التى كانت تابعة لفرنسا، وفى مناطق كندية، مثل كيوبيك جعلت الفرنسية

لغة رسمية بها لأن معظم السكان يتحدثونها[١].

- وفى إطار اللغة العربية نجد أن الجزائر فى فترة الاحتلال الفرنسى قد تعرضت لصراع لغوى لاهب، لقد اجتهد الاستعمار الفرنسى فى تعليم الناشئة اللغة الفرنسية، وجعلها لغة التعامل فى المؤسسات (اللغة الرسمية) مع تنحية العربية عن كل موقع رسمى، وذلك ليقين الاستعمار الفرنسى أن إتقان العربية يعنى الاتصال بالحضارة العربية والإسلامية، وهذا يقوى روابط الشعب بجذور الماضى وتراثه وأصالته، مما يقف سَدًّا منيعًا أمام تحقيق رغبة الاستعمار الفرنسى التى تهدف إلى قطع صلة المواطن الجزائرى بأصله وتراثه، أو على الأقل إضعاف هذه الصلة لدرجة أن ينعدم تأثيرها، ويذوب الشعب الجزائرى فى اللغة الفرنسية وثقافتها وتقاليدها، وبهذا تتم عملية الفَرْنَسَة لهذا الشعب[٢]، من خلال دعم وجود اللغة الفرنسية وإضعاف وجود اللغة العربية فى الجزائر وتنحيتها عن كثير من المواقع.

وظل هذا الصراع ملتهبًا بعد استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢م، حيث كان عليها أن تجابه قضية خطيرة، وهى إعادة الحياة العربية إلى المدرسة الجزائرية، وكان الأمر صعبًا؛ لأن هذه المدارس كانت لا زالت مفرنسة، وعملية التعريب ليست سهلة، وتحتاج إلى وقت، ولا يمكن إنجازها بين عشية وضحاها، ومن هنا احتدم الصراع اللغوى بين اللغة الرسمية، لغة التعليم، لغة المستعمر التى مُكن لها غاية التمكين فى المدارس والمؤسسات، واللغة الوطنية (اللغة العربية) التى حوصرت فى أضيق حدود ممكنة من التعامل، حتى أصبحت ثقيلة على لسان كثير من الناشئة الذين تعلموا فى مدارس مفرنسة فى كل شىء.

---

(1) Language and Politics, by: Thomas P. Brockway, U.S.A, 1965, P. 27.

(٢) راجع: فى الثورة والتعريب، د. محمد مصايف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م

وواصلت الإدارة الاستعمارية محاربتها للغة العربية وفرض اللغة الفرنسية في الإدارة، والمحيط الاجتماعي، وأجهزة الإعلام، وكل المرافق العامة.

وقد ورد في قرار فرنسي صدر سنة ١٨٤٩م ما يلي :

«إن لغتنا هي اللغة الحاكمة ... فإن قضاءنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فإن أهم الأمور التي ينبغي أن يعتنى بها قبل كل شيء، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين قد عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين»[١].

وفي المعسكر الشيوعي نجد الحزب الشيوعي الصيني في تركستان الشرقية قد منع استخدام اللغة «الأيغورية» في المدارس، وهي اللغة الأصلية لسكان البلاد؛ ذلك لأن اللغة الأيغورية هي لغة التكليف الديني الإسلامي هناك، ولأنها لغة الأمهات والآباء في تربية أبنائهم منذ نعومة أظفارهم، وتواكب هذه الخطوة خطوة أخرى هي إجبار أبناء المسلمين في تركستان الشرقية على دخول المدارس الصينية، ومنعهم من الالتحاق بالمدارس الوطنية لينشأ الشباب التركستاني المسلم جاهلاً بمبادئ الإسلام.

(١) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٨.

المؤسسات التى تدعم لغاتها الوطنية فى العالم:

● **اللغة الفرنسية:**

تلقى اللغة الفرنسية دعمًا كبيرًا، ولها مؤسسات تعمل على نشرها فى مناطق واسعة من العالم، من هذه المؤسسات :

الفرانكفونية :

الفرانكفونية حركة فكرية تهدف إلى دعم وجود وبقاء القيم الفرنسية فى دول العالم، وبخاصة فى الدول التى كانت مستعمرة فرنسيًّا ثم انسحبت منها فرنسا، وذلك من خلال دعم الوجود اللغوى الفرنسى، ومدافعة التيارات اللغوية الأخرى.

ومصطلح الفرانكفونية يعود إلى عالم الجغرافيا الفرنسى: «أونزيم ركلو – Onesime Reclus» فقد وضعه فى أواخر القرن التاسع عشر ١٨٨٠م للدلالة على الدول التى تستعمل اللغة الفرنسية، ثم صار فيما بعد دالاً على مجموع المستعمرات الفرنسية التى انسحبت منها فرنسا، وتتحدث هذه المستعمرات –كليًّا أو جزئيًّا– اللغة الفرنسية.

وفى عام ١٩٠٦م تم تأسيس الجمعية العالمية للكُتَّاب باللغة الفرنسية، ثم توالى تأسيس الجمعيات والاتحادات حتى كان عام ١٩٦٢م عندما نشرت مجلة (الفكر) الفرنسية عددًا خاصًّا عن «اللغة الفرنسية لغة حية»، وكان هذا بمثابة البيان الأول للفرانكفونية، ثم توالى تأسيس الجمعيات والاتحادات للدفاع عن اللغة الفرنسية.

وفى عام ١٩٧٠م تأسست الفرانكفونية بمفهومها الجديد باسم «**وكالة**

التعاون الثقافى والفنى للتبادل الثقافى مع الحكومات » وأصبح لها مؤتمرات ومشاركات وإرساليات، من خلال مؤسسات وتنظيمات لها ميزانيات لدعم أنشطتها المختلفة، ولها حضور قوى فى المؤتمرات الدولية مثل: مؤتمر السكان بالقاهرة ١٩٩٥م، والمؤتمر الدولى الرابع حول المرأة والتنمية فى بكين ١٩٩٥م.

وفى قمة داكار الفرانكفونية (مايو ١٩٨٩م) أعلن الرئيس ميتران أن فرنسا سوف تلغى الدين العام للبلدان الأفريقية الخمسة والثلاثين الأفقر، وهو ١٦ بليون فرنك فى جملته، وفى المقابل ينتظر من هذه البلدان أن تستمر فى ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية فى الحكومة والتعليم[١].

وللمنظمة الفرانكفونية جانب إعلامى يتمثل فى القناة التليفزيونية الفرنسية الخامسة الموجهة إلى الشعوب الفرانكفونية، وسائر المهتمين باللغة الفرنسية، ولدعم الوجود الفرنسى فى العالم[٢].

الفرانكفونية واللغة العربية فى المغرب العربى:

بعد حصول المغرب على الاستقلال سنة ١٩٥٦م واجهت المغرب مخططًا فرانكفونيًا، كان من أبرز محاوره اللغة، من خلال دعم حضور اللغة الفرنسية لتمثل الحضارة والتقدم، ومدافعة إحياء اللغة العربية وإظهارها فى ثوب التخلف والجمود والتأخر والرجعية، حتى تُبقى على الازدواجية اللغوية : لغة التعامل الرسمى والإدارة والوثائق الرسمية (الفرنسية) ولغة التعامل الشعبى (العربية)، وكان اتجاه الفرانكفونية إلى فرنسة المغرب من خلال اتجاهين :

---

(١) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة د. احمد عوض، سلسة عالم المعرفة: الكويت (٢٦٣) ص١٤٧.

(٢) راجع: الوكالة الفرانكوفونية بالإنترنيت WWW Francophonie.org.Com .

الأول : إنشاء مدارس البعثة الثقافية الفرنسية، التى تكون الفرنسية فيها هى لغة التدريس، حيث تتم عملية فرنسة الطبقة البرجوازية وإعداد أبنائها للمراكز القيادية والمناصب العليا، ومحاولة ربط انتمائهم بفرنسا مجتمع الحضارة، والتنكر للعربية لأنها لم تقدم لهم الحضارة ، ولأنها لغة عامة الناس.

الثانى: يتمثل فى تشجيع ودعم تدريس اللغة الفرنسية بمدارس التعليم الرسمى، حيث أقامت مراكز تدريس الفرنسية للطلبة مجانًا، وعقد المسابقات فى الرواية والقصص القصيرة والمسرح والترجمة لتقوية ربط الطالب بالفرنسية التى هى «وعاء ثقافة فرنسا».

ونفس ما يحدث فى المغرب يحدث فى الجزائر، فقد وضعت السلطات الاستعمارية خطة محكمة لمحاربة اللغة العربية، باعتبارها المنافس الخطير للغة الفرنسية، حتى تضع الجزائريين الرافضين للغة الفرنسية فى موقف صعب: بين الفرنسية، أو الجهل والأمية.

فانتقمت من الجزائريين الرافضين للغة الفرنسية باعتبارها لغة العدو المحتل، بالقضاء على مراكز الثقافة العربية الإسلامية، ومدارس اللغة العربية، وحولتها إلى معاهد للثقافة الفرنسية، ومراكز للتبشير، وثكنات للجيش، ومساكن للمستوطنين، والباقى هدمته بدعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية، وإعادة بنائها بطرق عمرانية عصرية.

وإلى جانب هذا، فقد استعملت الإدارة الاستعمارية فى الجزائر كل الأساليب فى محاربة اللغة العربية، التى قد يختلف بعضها عن الأساليب المستعملة فى المشرق العربى فى محاربة العربية والدعوة إلى العامية أو اللغة الإنجليزية.

من هذه الأساليب المستعملة فى الجزائر :

١ – حظر استعمال اللغة العربية فى المجال الرسمى حظراً مطلقًا، ونفذ ذلك بدقة، ونتج عنه أن أصبح المتعلم باللغة العربية، والأمى فى درجة واحدة أمام الإدارة الفرنسية، والهدف من هذا الإجراء دفع الجزائريين إلى تعلم اللغة الفرنسية لقضاء حاجاتهم.

٢ – عدم السماح للجزائريين بتأسيس مدارس ومعاهد تعليم اللغة العربية وثقافتها، والاكتفاء ببعض الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم فقط دون تفسيره أو تدريس المواد الاجتماعية، وكل من يخرج عن هذا الشرط يغلق كُتَّابه ويغرَّم ويُزَجُّ به فى السجون.

٣ – القيام بوضع الكتب المدرسية باللهجة العامية إرضاء لبعض الجزائريين، هذه العامية التى هى فى الحقيقة خليط من العربية ولهجاتها، والبربرية، والتركية، والفرنسية، والإيطالية، والأسبانية، واعتبرت هى اللغة الجزائرية الحية بعد اللغة الفرنسية، لانتشارها بين الناس أكثر من غيرها.

٤ – فرض حصار محكم على تسلل الثقافة العربية الإسلامية من المشرق، حتى لا يخلق لهم مشاكل فى توجههم نحو فصل الشعب الجزائرى عن أمته العربية.

٥ – ثم صدور قرار ١٩٣٨م المشئوم، الذى دعم خطة محاربة اللغة العربية التى بدأت تستعيد مكانتها مع تطور الحركة الوطنية الجزائرية الاستقلالية والإصلاحية ومطالبها.

هذا القرار الذى ينص ويؤكد ... اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية فى

الجزائر، ولا يجوز تعليمها فى مدارس التعليم سواء كانت حكومية أو شعبية[1].

● وهكذا يظهر لنا جملة من الحقائق فى تأثر اللغة بالسياسة:

١ – أن ضياع اللغة أو ضعفها ضياع للقومية أو إضعاف لها، وأن من أقوى سبل المحافظة على خصوصية كل شعب وقوميته وأصالته : اللغة.

٢ – أن السياسة تعصف بالواقع اللغوى عصفًا رهيبًا، فالأقوياء لغتهم لها التمكين والسيطرة والشيوع، أما الضعفاء فلغتهم لها الضعف والتنحية والإزاحة من مواقع التعامل والتأثير. إن التاريخ يصنعه الأقوياء.

٣ – أن اللغة من أقوى عوامل المحافظة على الهوية والقومية، ومن الخطورة بمكان أن يفرط الإنسان فى لغته؛ لأن معنى هذا أنه يفرط فى ذاته وتراثه وأصالته، ومصيره الذوبان فى الآخر والتلاشى من الحياة !

● **اللغة الألمانية :**

نجد دعمًا واضحًا لها من خلال اتجاهين :

الهيئات التى تدعم الألمانية كلغة ثانية :

١ – هيئة التبادل الثقافى الألمانى *DAAD*:

لها دورٌ ملحوظ فى دعم اللغة الألمانية كلغة ثانية، من خلال تدعيم البعثات العلمية بألمانيا لغير الألمان، كما تقوم بتدعيم الأبحاث العلمية فى دول

(١) وضع اللغة العربية فى الجزائر، عبد الله بو خلخال، سلسلة كتاب قضايا فكرية، الكتاب السابع والثامن عشر، مايو ١٩٩٧، ص ١٤١.

العالم، سواء تلك الناطقة بالألمانية أو بغيرها، ولها نشاط فعّال فى إعداد الدورات العلمية والمحاضرات المتعلقة بالحضارة الألمانية.

٢ - معهد جوته الألمانى:

وهو منظمة خاصة تلقى دعمًا من الحكومة الألمانية، بالإضافة إلى المنح والهيئات التى تأتى من بعض الجهات.

والمعهد يقوم بتدريس اللغة الألمانية ونشرها وتدعيمها فى داخل ألمانيا، وفى خارج ألمانيا كلغة ثانية (أجنبية) وله نجاح ملحوظ فى نشر وتدعيم وجود اللغة الألمانية والثقافة الألمانية، ومن فروع هذا المعهد «معهد جوته الألمانى» بمصر[(١)].

٣ - المكتب المركزى للمدارس الألمانية فى الخارج:

تنفق ألمانيا على دعم اللغة الألمانية بالخارج حوالى ٥٠٪ من الميزانية الثقافية لوزارة الخارجية، ولا يمثل هذا المبلغ إجمالى ما ينفق، فهناك بعض الهيئات الوسيطة التى تتلقى أموالاً من جهات وأقسام أخرى[(٢)].

● اللغة الإنجليزية:

الإنجليزية لها طغيان لا يقاوم على مستوى العالم؛ فهى لغة الحضارة والإنترنيت ... إلخ ، ومن أهم المؤسسات التى تدعم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية:

● الجامعة الأمريكية : وتقوم بدعم العامية والدعوة إلى إحيائها.

● المدارس الأمريكية : الإنجليزية لغة دراسة من الصغر، كى يفكر الدارس

---

(١)،(٢) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٦، ١٤٧.

بالإنجليـزية، ويحـلم بالإنجليـزية، وكـان لهـذا أثـره الكبـير فى ولاء وانتـمـاء هذا الطالب للإنجليزية.

وتستخدم الولايات المتحدة خمس هيئات مختلفة – على الأقل– للترويج للإنجليزية، وهى :

- وكالة التنمية الدولية (AID).
- وكالة الإعلان الأمريكية (***USIA***).
- فرق السلام (***Peace Corps***).
- إدارة الدولة (***SD***).
- إدارة الدفاع (***DD***).

وبإقامة المجلس البريطانى ***British Council*** (بميزانيـة سنوية حـوالى ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى) أقامت بريطانيا مؤسسة فعالة للغاية لتنفيذ سياسة نشر لغتها المدعومة – بطريقة فعالة على نحو متساوٍ – ببرامج تعليم اللغة فى هيئة الإذاعـة البـريطانيـة **BBC** المدعومة ماليًّا من القطاع الحكومى. وبرامج سلسلة «الإنجليزية من خلال الإذاعة والتلفزة» تصل إلى جمهور أكبر من جمهور أى برامج لغة أخرى فى العالم[١].

- المعهد البريطانى:

وله نشـاط كبـير فى تعليم الإنجليـزية، وتيـسـير سـبل الاتـصال بالثـقـافـة الإنجليـزيـة، من خـلال الكتب والمطبـوعات، والندوات، والمحـاضـرات، والمنح الدراسية.

---

(١) اللغة والاقتصاد، ص ١٤٧، ١٤٨.

● اللغة العبرية :

استطاع اليهود فى أقل من قرن بعث اللغة العبرية، وتحويلها من لغة ميتة لا تكاد تستخدم إلا فى أغراض دينية، وعلى نطاق ضيق فى إطار الجيتو « المعزل اليهودى »، إلى لغة حية لها قاموسها وأدبها الذى حقق مستوى عالميًّا بفوز « يوسف عجنون » بجائزة نوبل للآداب.

وهناك هيئات تقوم على خدمة العبرية، مثل : أكاديمية اللغة العبرية « Aqademiyah la - Lashonha -Ivrit »، وتعمل إسرائيل على تطبيق سياسة لغوية ذات أهمية رمزية، وأهمية حيوية أيضًا بالنسبة للدولة الحديثة، وخاصة بسبب الاستخدام الاصطلاحى الذى لا غِنى عنه بالنسبة للعلم والتكنولوجيا والصناعة[1].

كما أن هناك مركز دراسات العبرية الذى يقوم بنشر الثقافة واللغة العبرية، وكذلك تقوم جريدة « هآرتس » بهذا الدور من خلال موقعها على شبكة الإنترنيت : « WWW.Haartz.Com » وهناك موقع آخر بكل اللغات إلى جانب العبرية، عنوانه : « WWW.GooGle.Com.Ok. ».

(١) اللغة والاقتصاد، ص ص ١٤٠ ، ١٤١.

● ١٩٦٧ ولغة النكسة :

بعد هزيمة الجيوش العربية فى ١٩٦٧م أمام إسرائيل هزيمة نكراء، انتكست لغة الخطاب السياسى، وتجلى ذلك فى الظواهر اللغوية السياسية التالية :

● الكذب الفاضح فى البيانات العسكرية الذى أفقد الناس الثقة فى بيانات وأخبار الإعلام المصرى.

● تعبير النكسة بدلاً من الهزيمة، وما يحمله من تعمية وتضبيب لصرف الجماهير عن مرارة الوضع وآلام الواقع.

● تعبير «اللا سلم واللاحرب»، ومثله تعبير «اللامنهزم واللامنتصر» للدلالة على جمود الموقف السياسى أو العسكرى، وقد ساعدت هذه التعبيرات فى وقتها على تسريب مشاعر الإحباط وأحيانًا اليأس، ونلاحظ هنا بعض السمات اللغوية، ومن أهمها:

أ – استخدام لا النافية، تأثرًا باللغة الإنجليزية، لتسطيح المعانى وتمييعها.

ب – تركيب التعبير من معنيين متناقضين.

ج – الغموض وعدم الوضوح.

● تعبير «تحريك الأسعار» ومعناه الظاهر: التغيير المحدود للأسعار(زيادةً ونقصًا)، لكن الواقع أنه كان ارتفاعًا حادًا للأسعار، ومما يزيد الطين بِلَّة تبريره بأنه : «لرفع المعاناة عن الجماهير».

● تعبير «السياحى» حيث أُطلق على المواد الاستهلاكية غالية الثمن،

التى تصلح للاستهلاك الآدمى، مثل : الأرز السياحى، الخبز السياحى ... إلخ، وذلك لتمييزه عن الخبز المدعوم الرخيص المعيب.

لكن المستهلك لم يقبل الاستخفاف بعقله، ووجدنا رد فعل يميل إلى السخرية فى تعبيرات شعبية كثيرة، من ذلك إطلاق بعض التسميات على بعض الممتلكات لدى الأثرياء ووجهاء المجتمع، تعبيراً عن حالة التناقض الصارخ فى واقع المجتمع، مثل إطلاقهم بعض الأسماء على السيارات الفخمة الفارهة، نحو : الخنزيرة، البودرة، الشبح، العيون ... إلخ.

● نصر أكتوبر ١٩٧٣ ولغة الحقائق :

كان لنصر أكتوبر ١٩٧٣ على إسرائيل أثرٌ واضح على لغة الخطاب السياسى، يمكن ملاحظته فى الظواهر التالية :

● صدق البيانات العسكرية الذى أحيى الثقة فى الإعلام المصرى.

● البعد عن الغموض فى لغة الخطاب السياسى، فرأينا الرئيس الراحل أنور السادات يتكلم بضمير الحاضر، وليس بضمير الغائب، ويحترم عقل المستمع، فلم نجد البيانات العنترية التى كانت تصرخ وتهدد بأننا «سنلقى بإسرائيل فى البحر» وكل المبالغات غير المقبولة التى كانت سمة الخطاب السياسى الانفعالى المندفع المتهور الذى لا يقوم على الحقائق.

وغابت كذلك العبارات التى تتركب من كلمات متناقضة المعنى، والتى تجعل المتلقى حائراً فى تحديد المعنى المقصود منها، فاحتمالية المعانى المتعددة لمثل هذه التراكيب والتعبيرات توقعنا فى اللبس والغموض.

وهكذا تصنع الهزائم والانتصارات فى اللغة، انحطاطًا وسقوطًا أو رقيًا وازدهاراً.



علم اللغة السياسى



● **اللغة شاهد على حركة الحياة :**

فى كل لحظة تمر يشهد العالم تطوراً متلاحقًا فى شتى مجالات الحياة، وتتدفق مواليد شتى فى كل مجال، كالطوفان الذى يأتى قاهراً لكل ثوابت الواقع، لا يستشير أحداً ولا يستثنى شيئًا، وإنما هو قدر محتوم لا مفر منه، وهذا هو شأن الحياة: الحركة، التغير، التطور.

ولما كانت اللغة هى مرآة الحياة؛ فإنها تتأثر بكل أحداثها .

وفى القديم كانت السيادة المطلقة للكلمة المجردة التى تعتمد على عناصر التعبير اللغوية، أما فى المعاصر فقد تغير الموقف وشارك اللغة فى التعبير وسائل أخرى عديدة، مثل : الحركة، والصورة، الإشارات الضوئية... إلخ. وكان على اللغة أن تطوع من نفسها كى تتسيَّد الموقف، وتحافظ على مكانتها فى المقدمة بين وسائل التعبير المستحدثة، فنشأ على مستوى الكلمة: فن الرواية، والقصة القصيرة، وكتابة الحوار (فن السيناريو). وتعددت مستويات النمط الواحد، فلغة الإذاعة مثلاً تتعدد مستوياتها من اليسر والسهولة إلى مستوى أعمق فى البرنامج المتخصص والتعليمى، وإلى مستوى معيارى فى نشرات الأخبار والتحليلات الإخبارية ... إلخ.

وعلى المستوى المنهجى فى العلوم المعرفية المختلفة اهتم كل علم بالظواهر اللغوية التى تخدمه، وصار لكل فرع معرفى علم لغوى يختص به.

ومن بين العلوم التى نشأت فى الجانب التطبيقى للغة علم اللغة السياسى.

وزاد من أثر السياسة فى اللغة تطور أدوات التعبير ووسائل الاتصال الجماهيرى من خلال الصحافة والإذاعة والتليفزيون تطوراً يحقق الهيمنة على

الجماهير والشعوب، وأصبح النفوذ السياسى يتخذ من النفوذ اللغوى الإعلامى سلاحًا حاسمًا فى الإقناع بالأفكار السياسية المختلفة، والترويج لها، وتحفيز الجماهير للمشاريع السياسية المختلفة.

والملمح المميز للخطاب السياسى المعاصر عن الخطاب اللغوى المتصل بالعلوم الأخرى (علم النفس، الاجتماع، التاريخ ... إلخ) أن الخطاب السياسى المعاصر لا يقوم على التعبير عن الحقائق فى كل أحواله، كما هو الشأن فى الخطاب اللغوى المتصل بالعلوم الأخرى، بل يتخلى الخطاب السياسى عن قيمة الصدق، ويتسم بالزيف والتضليل فى أغلب أحواله.

● السياسة والأخلاق واللغة :

السياسة تقوم على المصالح، وليس على إحقاق الحق أو احترام الأفضل، وبالتالى تأخذ السياسة من اللغة ستاراً للتعبير عن أبشع الجرائم بألفاظ طيبة حسنة، وعلى العكس يتم التعبير عن الحق الذى يخالف المصلحة بأسوأ الألفاظ التى تُعَدُّ تُهمًا يُعاقب فاعلها، وعلى المستوى الدولى نجد أمريكا وإسرائيل والمجتمع الغربى، تصف مقاومة المحتل بالعنف والإرهاب، وتصف الملتزم بدينه بالتطرف، وتسمى حرب الإبادة للفلسطينيين بالدفاع عن النفس. إننا فى إطار اللغة السياسية نجد أن الألفاظ لا تعبر عن الواقع الحقيقى، وإنما تعبر عن المعنى المراد توصيله إلى الجماهير.

● علم اللغة السياسى :

علم اللغة السياسى أحد فروع علم اللغة الاجتماعى التى نالت اهتمامًا ملحوظًا فى العصر الحديث، ويهتم هذا العلم بدراسة جوانب الخطاب السياسى، والتعرف على خصائصه اللغوية، وذلك للوقوف على أهم العناصر

والخصائص اللغوية التى تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أنماط الخطاب السياسى ودوافعه وأهدافه، كما يدرس وسائل التأثير اللغوية على المستمع، والسمات والملامح الأسلوبية الخاصة بكل مجتمع، ويظل لكل مجتمع فكره السياسى، بل ولكل شريحة داخل المجتمع الواحد.

• العربية وعلم اللغة السياسى:

عرفت العربية على مستوى سياسة القبيلة أنماطًا من لغة السياسة تتمثل فى الهجاء والفخر، فقد كان لكل قبيلة شاعرها وخطيبها، وكان الشعراء والخطباء يقومون بدور المتحدث الرسمى باسم القبيلة، فالشعراء هم الذين يروِّجون لِقيَمها ويتغنون بمآثرها وأمجادها فى قصائد الفخر، وهم الذين يحرضون الرجال فى القتال بقصائدهم الحماسية الملتهبة، وهم الذين يهجون أعداء القبيلة ويهددونهم. بينما كان الخطباء هم المُقَدَّمين فى الوفود، وفى المناسبات السياسية والاجتماعية المختلفة.

• الشعر السياسى :

كان لكل ملكٍ من ملوك القبائل بطانته التى لا تخلو من شاعر أو خطيب، أو كليهما، وبخاصة الملوك الذين كان لهم سلطان واسع كملوك الغساسنة والمناذرة. ومن أشهر هؤلاء الملوك : النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وفيه أُنشدت القصائد الغُرُّ من مدائح واعتذاريات لكبار شعراء الجاهلية ، كالأعشى والنابغة الذبيانى.

وتعددت الموضوعات السياسية التى عبَّر الشعر عنها، بتعدد واتساع الوشائج بين السياسة وبقية أشكال النشاط الاجتماعى، على النحو التالى :

* الشعر صوت الحرب :

كان للشعر العربى دور كبير فى الحروب، بل إن مؤرخى الأدب[1] يربطون بين نشأة الشعر العربى والحروب الكبيرة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء.

بدأت حرب البسوس بين قبيلتى بكر وتغلب بعد مقتل كُلَيْب أخى المهلهل (الذى يُقال إنه أول من هلهل – أى: أرقَّ وأطال – قصائد الشعر)، ويعلو صوت المهلهل مطالبًا بالثأر لأخيه، ورافضًا عرض بنى بكر دفع الدية:

يا لَبَكْرٍ أَنْشِروا لى كُلَيْبًا   يا لبَكْرٍ، أينَ أينَ الفِرارُ ؟!

دامت حرب البسوس أربعين سنة، حتى أصلح الملك المُنذر بين القبيلتين، ولكنه خشى أن تعودا إلى الحرب، فأخذ منهما مائة غلام رهائن، حتى إذا اعتدت إحداهما على الأخرى أقادَ من الرهائن، وسار عمرو بن هند على خطة أبيه المنذر فى هذا، وذات يوم سيَّرَ الملك ركبًا من تغلب وبكر إلى جبال طيئ، فأجلى البكريون التغلبيين عن الماء ودفعوهم إلى مفازة فتاهوا فيها وماتوا عطشًا؛ فغضب بنو تغلب وطلبوا ديات أبنائهم، فأبت بكر دفعها، فاحتكموا إلى عمرو بن هند، ولما كان يوم التقاضى انتدبت تغلب شاعرها عمرو بن كلثوم للدفاع عنه، وانتدبت بكر أحد أشرافها النعمان بن هَرِم، فأنشد عمرو بن كلثوم قسمًا من معلقته بين يدى الملك، أما القسم الآخر فزاده عليها بعد أن قتل الملك.

---

(١) انظر : الشعر الجاهلى (خصائصه وفنونه)، د. يحيى الجبورى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٩٤، ص ٢٩٤. وانظر : تاريخ الأدب العربى فى العصر الجاهلى، السباعى بيومى، ص٤٢ : ٤٥.

وفى مُعلقة عمرو بن كلثوم يتجسد صوت القبيلة والروح القَبَلية فى أجلى صورها، والشاعر يستعمل كل المؤثرات اللغوية والبلاغية للتعبير عن قيم قبيلته وتعداد مآثرها ومفاخرها، يقول عمرو بن كلثوم[١]:

أبَا هندٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينا

بأنَّا نُوردُ الرَّاياتِ بِيضًا ... ونُصْدرُهُنَّ حُمْرًا قَد رَوينَا

وأَيَّامٍ لَنا غُرٌّ طُوالٍ ... عَصَيْنَا المَلْكَ فِيها أنْ نَدينَا

وتزداد نبرة الفخر القَبَلى حماسة ومبالغةً، فيقول :

إذا ما المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا ... أَبَيْنا أنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِينَا

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... وماءَ البَحْرِ نَمْلؤُهُ سَفِينَا

إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِىٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

وفى حضرة الملك عمرو بن هند ردَّ الحارث بن حِلِّزَة على عمرو بن كلثوم، وكان الحارث أبرص فراح يُنشد قصيدته وبينه وبين الملك سبعة ستور، وكان لقصيدته وقع حسن فى نفس الملك، حتى رفع الستور التى كانت بينهما، وأدناه منه، وأطعمه معه فى نفس الإناء، ثم قطع رؤوس السبعين رهينة الذين كانوا عنده من بنى تغلب وسلَّمها إليه، وفى معلقة الحارث من الدهاءِ فى التعريض بالتغلبيين، وسرد الحوادث التاريخية، ومن الحِكمة والحنكة ما يجعلها مثالاً للشعر السياسى فى العصر الجاهلى[٢].

وفقد فتنت معلقة عمرو بن كلثوم قبيلة تغلب، فراحوا يتغنون بها فى

(١) شرح المعلقات السبع، الزوزنى، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض، د.ت، ص ١٦٣، ١٧١:١٧٢، ١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ٢١٥.

كل محفل، حتى هجاهم شاعر بكرى قائلاً[1] :

أَلْهَى بَنِى تَغْلِبٍ عَن كُلِّ مَكْرُمَـةٍ ... قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بن كُلْثُومِ
يَرْوُونَهَا أَبَدًا مُـذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ... يا للرِّجَالِ لشِعْرٍ غَيرِ مَسْئُومِ

● الشعر صوت السلام :

وعلى الجانب الآخر كان الشعر داعية للسلام واطِّراح الخصومات والصراعات، ومن أبرز الأمثلة على هذا : معلقة زهير بن أبى سلمى، التى نظمها فى مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين أصلحا بين قبيلتى عبس وذبيان، بعد أربعين عامًا من الحرب الدامية التى عُرفت باسم حرب داحس والغبراء، فنظَم زهير معلقته يمدح بها المصلحين لحقنهما الدماء، ويحذر الفريقين من شر الخيانة وإضمار الحرب، ومنها قوله[2] :

فأقْسَمْتُ بالبيْتِ الذى طافَ حَولَهُ ... رِجالٌ بَنَوْهُ منْ قُرَيْشٍ وجُرْهُم
يمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطرَ مَنْشِمِ
وقَدْ قُلْتُما : إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ ومَعرُوفٍ من القَولِ نَسْلَمِ
فأصْبَحْتُمَا منها على خيرِ مَوْطِنٍ ... بَعيدَيْنِ فيها من عُقوقٍ ومَأثَمِ
عَظِيمَيْنِ فى عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ... وَمن يَسْتَبِحْ كَنْزًا من المَجْدِ يَعْظُمِ

وما زلنا – إلى اليوم – نتمثل بأبياتٍ من هذه القصيدة عن الحرب وفظائعها، فنقول مع زُهيرٍ :

---

(١) الأغانى ١١/٥٤.
(٢) شرح ديوان زُهير بن أبى سُلمى، احمد بن يحيى ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة ١٩٦٤،، ص ١٤ : ١٧.

وَمَا الحَـرْبُ إلا مـا عَلِمـتُمْ وذُقْـتُمُ ... وَمَـا هُوَ عنهـا بالحَـديث المُرَجَّمِ

مَـتى تَبْعَـثُـوها تَبْعَـثـوها ذَمِيـمَـةً ... وتَضْـرَ إذا ضَـرَّيْتُـمـوها فَـتَـضْـرَمِ

* الشعر صوت الثورة والتمرد :

تجمع غِربان العرب ومطاريد القبائل فى جماعة فريدة من نوعها عُرفت باسم : الشعراء الصعاليك. وكلمة «صعلوك» تعنى: الفقير الذى لا مال له ولا اعـتـمـاد[1]، ثم صارت علمًا على هؤلاء المتمردين على الأوضاع القبلية الخارجين على قيم المجتمع.

وكان الشعر صوتهم المُعبر عن قيمهم وثورتهم على قيم المجتمع وتقاليده، ومن أشهر هؤلاء الشعراء: عُروة بن الورد، المعروف بعُروة الصعاليك، لأنه كان يعطف عليهم ويرعاهم، على الرغم من أنه كان سيداً من سادات عبس، والشنفرى صاحب لامية العرب، وفيها يعلن ثورته على أهله وقبيلته من أول بيت، يقول[2] :

أقيـمـوا بنى أُمىَّ صُـدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فـإنِّى إلى قَـومٍ سِـواكُم لأَمْـيَلُ

كذلك كان الشعر وسيلة من وسائل التخلص من العبودية والرق، فلم يكن عنترة بن شداد ليحصل على حريته وينال شرف الانتساب إلى عبس، إلا لأنه كان شاعراً وفارسًا شجاعًا، وقد تغنى عنترة بشجاعته ومآثر قبيلته فى قصائد جمعت بين الروح الفردية والروح القبلية معًا، وصورت أهوال المعارك وعنفوانها، يقول عنترة[3] (والضمير للحصان):

مـا زِلْتُ أرْمِيـهم بثُـغرة نَحره ... ولَبـانِه حَـتى تَسَـربَلَ بالدَّمِ

---

(١) اللسان : مادة (ص ع ل ك). (٢) تاريخ الأدب العربى، د. عمر فروخ، ١/١٠٣.

(٣) شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق وشرح : عبد المنعم عبدالرءوف شلبى، دار الكتب العلمية: بيروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٥٣: ١٥٤.

فـــازْورَّ من وَقْعِ القَنـا بلَبــــانهِ	وشَكا إليَّ بَعَــبْــرَةٍ وتَحَــمْــحُـمِ
لو كـان يَدْرِى مـا المُحـاورةُ اشْـتَكَى	ولَـكان لـو عَـلِـمَ الكَـلامَ مُـكَـلِّمـى
ولقـد شَـفـى نَفْسـى وأبرأ سُـقْـمَـهـا	قِــيلُ الفَــوارسِ وَيْكَ عَنتــرَ أَقْــدِمِ

* الشعر والدعوة الإسلامية :

استمر التقليد العربى القديم فى اعتبار الشاعر هو المتحدث باسم الجماعة – التى تحولت مع شروق شمس الإسلام إلى « الأمة » – فكان الشعر صوت الأمة، ونصير الدعوة الإسلامية، وكان حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ يمجد الإسلام ويعدد مآثر النبى الكريم ﷺ والمؤمنين بدعوته، ويرد على أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين.

وكان النبى ﷺ يُدرك – بخبرة القائد السياسى المحنك – ما للشعر من أثر فى نفوس الناس، ويظهر هذا فى كثير من مواقفه، فحين أنشده النابغة الجعدى رائيته، ومنها قوله:

أتَيْتُ رَسُــولَ اللهِ إذْ جـاءَ بالهُــدَى ... وَيَتْلو كِــتــابًا كــالمَجَــرَّةِ نَيِّــرَا

قال له النبى ﷺ : « لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ »[1]. بل لقد تمثل النبى ﷺ بالشعر فى كثير من المواقف، فحينما فرَّ فرسان المسلمين يوم حُنَيْن، وثبت النبىُّ ﷺ فى نفر من أصحابه، راح يدعوهم إلى القتال والثبات قائلاً[2]:

أنا النَّبِــىُّ لا كَــذِبْ ... أنا ابنُ عَــبْــدِ المُطَّلِبْ

وبالمثل استخدم أعداء الأسلام الشعر وسيلة للنيل من الإسلام

---

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٨٩، الأغانى ٥ / ٩.

(٢) نهاية الأرب، للنويرى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت،

ورسولهﷺ، فكانت سجاحُ المتنبئة تُحمِّس فرسانها على قتال المسلمين فى حروب الردَّة قائلةً:

أحـمل رأسًـا قـد مَلَلْتُ حَـمْلَهُ
وقَـــدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وغَـــسْلَهُ
الا فَـــتًى يَحْـــمِلُ عَنِّى ثِقْلَهُ؟!

ولم يتـراجع دور الشـعـر فى العـصـور التـاليـة، بل ربما اشـتـد أثره وعظم، لاسيما فى وقت الأزمات السياسية. فكان الشعر لسان حال الفرق الإسلامية المختلفة، فللمعتزلة والشيعة والخوارج والعلويين وغيرهم من الفرق، شعراؤهم وخطباؤهم.

وكان بلاط الخلفاء الأمويين والعباسيين يعجُّ بالشعراء، الذين يُناط بهم مهمة الدفاع عن الدولة والنظام السياسى، والرد على خصومها وأعدائها، كما كان لهؤلاء الخصوم والأعداء شعراؤهم وخطباؤهم، الذين تزايدت أعدادهم ، وتعاظم تأثيرهم، فيما عُرِف بحركة الشعوبية، وهى حركة مناهضة للعروبة، يقول شاعرهم بشَّار بن بُرْد مفتخراً بالفُرس هاجيًا العرب[1] :

هَلْ مِنْ رَسُــولٍ مُــخْــبِــرٍ ... عَنِّى جَــمِــيعَ العَــرَبِ؟
مَنْ كــانَ حَــيًّـــا مِنْهُـمُ ... وَمَن ثَـوَى فى التُّــــرُبِ
جَــدِّى الذى أَسْــمُـــو بِـهِ ... كِـسْـرَى، وسـاسـانُ أَبِى
وقَــيْــصَــرٌ خـــالى إذا ... عَـــدَدْتُ يَوْمًـــا نَـسَــبِى

فهنا يفخَر بقومه من الفُرس، ثم يهجو العرب بكونهم أهل بداوة، وأنهم قوم جياع يتتبعون الضِّباب ليأكلوها، ويقطعون الصحراء خلف إبلٍ جرباء:

---

(١) ديوان بشار بن برد، تحقيق وشرح العلامة محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، تونس، د.ت، ١/٣٨٩.

ولا حَـــــــدًا قَـطُّ أبِى   خَلفَ بَعِـــيـــرٍ جَـــرِبِ

هكذا كان الشعر مرآة تعكس الأحداث والأفكار والاتجاهات السياسية على اختلافها، طوال التاريخ العربى، منذ المهلهل حتى «أمل دنقل» الذى خاطب السادات - بعد رحلته إلى القدس ومبادرته للسلام - قائلاً[1] :

لا تُصالحْ
ولو مَنَحوكَ الذَّهبْ
أتُرى حين أفقأ عينيك،
ثم أثبِّتُ جوهرتين مكانَهما
هل تَرَى ؟
هى أشياءُ لا تُشترى

....

لا تُصالحْ على الدمِ حتى بدَمْ!
لا تُصالحْ ولو قيلَ رأسٌ برأسْ!
أكُلُّ الرءوسِ سواء ؟!
أقلبُ الغريبِ كقلبِ أخيك ؟!
أعيناه عينا أخيك ؟!
وهل تتساوى يدٌ سيفُها كان لك ؟!
بيدٍ سيفُها أثْكَلَكْ ؟!

....

لا تُصالحْ ولو توَّجوكَ بتاجِ الإمارة

---

(١) أقوال جديدة عن حرب البسوس، من : الأعمال الشعرية لأمل دنقل، القاهرة: مكتبة مدبولى، د.ت، ص ٢٩٤ : ٤٠٨.

كيف تخطو على جُثَّةِ ابن أبيك ؟
وكيف تَصيرُ المَليك
على أوجه البهجةِ المُستعارة ؟
كيف تنظُرُ فى يدِ مَن صافَحوكَ
فلا تُبصرُ الدَّمَ
فى كُلِّ كَف ؟
إن سهمًا أتانى من الخَلْفْ
سوف يجيئكُ من ألف خَلْفْ !

....

لا تصالحْ !
لا تصالحْ !

ولعل من الممكن أن نقول : إنه لو أجريت دراسات ميدانية حول جماهيرية الشعر العربى، لوجدنا أن الشعر السياسى هو أكثر ألوان الشعر انتشاراً، وليس أدلَّ على ذلك مما تحظى به قصائد «نزار قبانى» المُغنَّاة خاصةً، فى كل الأوساط.

● وسائل الخطاب السياسى :

(١) الإقناع وخطط المستقبل :

تقوم لغة السياسة على الإقناع من خلال إبراز الحجة بوضوح ودقة، والتدرج فى الحوار تفاديًا للاصطدام مع الآخر، ولذلك يكون التمهيد للحوار السياسى بقراءة جيدة للآخر، وتاريخه السياسى، ونمطه التفكيرى، وربما ظروفه النفسية، وواقعه ومشاكله ... إلخ.

(٢) التبرير وجرائم الماضى :

وإن كان الإقناع أسلوبًا خاصًا بخطط المستقبل وطموحاته، فإن لغة **التبرير** تختص – فى الأعم الأغلب – بما تم إنجازه من أحداث ومواقف فيها إساءة أو ضرر بالآخر.

وقد لجأت إسرائيل إلى هذه اللغة، حين بررت منعها الإعلام الدولى من دخول مدينة « جنين » الفلسطينية، بحجة الحرص على سلامتهم، فى حين تفسره المؤسسات الصحفية على مستوى العالم بأنه اعتداء على حرية الصحافة.

(٣) التهديد وسياسة الإكراه :

لأن السياسة تقوم على المصالح، وترتكز على معيار القوة دون معيار القيم والأخلاق؛ فقد تلجأ لغة السياسة إلى التهديد والتحذير لإرغام الآخر على الانصياع، وعدم التمرد أو الصمود، وذلك حين تلوِّح بأسلحة الدمار والخيار النووى الذى تهدد به إسرائيل لغرض الأمن، والحصار الاقتصادى الذى تفرضه أمريكا على ليبيا والعراق، أو بالتخلى عن الآخر فى مشروع قومى ما، أو بإثارة الفتن فى مجتمعه الداخلى، مثل جنوب السودان، وإثارة أمريكا للجنوب تحت دعوى حق تقرير المصير.

(٤) الإثارة :

وذلك بإثارة المشاعر الملتهبة تجاه قضية ما، وتوظيف هذه القضية فى خدمة طرف معين، مثل إعلان صدام حسين الجهاد إثارةً للمشاعر العربية فى حرب الخليج، وإبراز وجوه المنفعة، والبيانات التى تصدر بين الحين والآخر عن أسامة بن لادن، زاعمة أن تنظيم القاعدة يهدف إلى تحرير المقدسات.

(٥) التلويح بالمنافع والأهداف المرتقبة لدى الآخر كورقة ضغط :

مثل إعلان بوش دعم قيام الدولة الفلسطينية عند بداية حربه ضد أفغانستان والمسلمين.

(٦) المداهنة والمهادنة :

تلجأ السياسة إلى المداهنة والمهادنة فى حالة الضعف والعجز عن المواجهة، مثل موقف الدول العربية تجاه أمريكا وإسرائيل، حيث تشيع فى البيانات العربية الكلمات التالية : استنكار، شجب، خيار السلام، رفض ... إلخ، مع وصف العدو بالأعمال العدوانية، العدوان الغاشم ... إلخ.

(٧) التضليل للآخر :

وذلك بوضع أسماء برّاقة للأعمال المفزعة، مثل إعلان أمريكا : الحرب ضد الإرهاب، للتعبير عن حربها ضد المسلمين، ومن أجل المصالح، وإعلانها عن دول محور الشر : (العراق وإيران وكوريا).

(٨) تزييف الحقائق :

تلجأ لغة السياسة إلى تزييف الحقائق، من خلال ادعاءات وافتراءات تُضَخُّ من أبواق الإعلام العالمى. وقد بلغت إسرائيل القمة فى تزييف الحقائق من خلال ادعاءاتها المتكررة بأنهم أصحاب الحق فى أرض فلسطين، وأن فلسطين ليست للعرب أصلاً، وادعائهم بأن حائط البراق هو حائط المبكى، وبأن الهيكل يقع تحت المسجد الأقصى، وبأن اللغة العبرية هى أصل اللغات السامية، وهى أصل العربية، وادعائهم أن الأهرامات الثلاثة من إنجاز أيديهم، وأنهم هم صُنَّاع هذه الحضارة.. وهَلُمَّ جرًّا.

(٩) التحريض :

يلجأ الخطاب السياسى إلى لغة التحريض، وهى لغة استفزازية تعتمد على الشائعات والباطل، والمبالغة والتهويل، وإثارة الرموز المهمة، وذلك على نحو ما تصنع إسرائيل فى تحريضها الدائم لأمريكا والمجتمع الدولى ضد المسلمين، من خلال افتراء الاتهامات المثيرة وإلصاقها بنا، مثل : الإرهاب، التطرف، الفساد، العداء، والكراهية لليهود « معاداة السامية » ... إلخ، وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، ويتم هذا من خلال إعلام ذكى على مستوى العالم.

كيف تُصنع الشعارات ؟

الشعار فيه تكثيف وتركيز شديد لدلالات مقصودة، لذلك فإن الشعار يتطلب جملاً قصيرة أو كلمات مختصرة.

فقد يكون الشعار كلمة واحدة، مثل: الحرية أو الديمقراطية، العلم.. إلخ، وقد يكون جملة قصيرة، ويتجنب الشعار الجمل الطويلة، أو تعدد الجمل.

كما يتطلب الشعار الوضوح والبعد عن الغموض كى يضمن وصول معناه إلى جميع مستويات الجمهور، وأيضًا ليسهل التعرف عليه.

كما يتطلب الشعار الارتباط والتعبير عن معنى قيِّم محمود، يتناسب مع موضوعه.

تتركز الشعارات فى الخطاب السياسى حول قضية مهمة من قضايا الوطن، أو حول هدف قومى ... إلخ.

وتتشكل البنية اللغوية للشعار من خلال انتقاء رمز من الرموز اللغوية المناسبة لمضمون الشعار مع الحرص على الوضوح، وقصر الجملة أو العبارة، أو

الاقتصار على كلمة واحدة إن أمكن، وتجنب الكلمات الغامضة أو الغريبة أو ثقيلة النطق، ومن أمثلة الشعارات الناجحة :

* الحرية.
* الحرب ضد الإرهاب.
* الأمن الإسرائيلى.
* العدالة المطلقة.

اللغة والخروج من سجن الاستبداد السياسى

فى حالة الاستبداد السياسى وديكتاتورية السلطة، يلجأ الناس فى التعبير اللغوى إلى الرمزية والمجاز للتعبير عن همومهم وآلامهم فى واقعهم المر ، وذلك حين يعجزون عن التعبير المباشر عن هذه الآلام بسبب الطغيان السياسى، وتأخذ اللغة أنماطًا متباينة للخروج من سجن الاستبداد، ومأزق الطغيان السياسى، من أهم هذه الأنماط: النُكتة، القَصص، فن «الكاريكاتير». وفيما يلى شىء من التوضيح لكل نمط من هذه الأنماط :

(١) النكتة :

من وسائل التعبير السياسى غير المباشر : النكتة السياسية، التى قد تبدو فى ظاهرها دعابة لطيفة لا تجلب على قائلها، ولا على سامعيها سخط الحاكم، أو آذان رقبائه وجواسيسه.

وتشيع النكتة السياسية بوجه خاص فى عهود الديكتاتورية؛ ذلك أن الديكتاتور لا يقبل نقداً، وقد يتعرض من ينقده للبطش والتنكيل.

ولما كان الإنسان «حيوانًا سياسيًا» لا يحيا بغير السياسة، لم يكن له بُدٌّ من التنفيس عما يجيش بصدره من هموم سياسية، ومعاناة، عَبْرَ أشكال أدبية وفنية تخفى أهدافه السياسية وراء حيل بلاغية، أو أسلوبية مختلفة.

والنكتة بأسلوبها الضاحك وسياقاتها الاجتماعية تغرى السامعين بالضحك، وتلفتهم – فى الوقت نفسه – إلى مساوئ الحكم وسلبيات الحُكَّام، بل ربما كان الحكام أنفسهم من المولعين بسماع النكات التى تعرِّض بهم وتذكر مثالبهم وطغيانهم.

ولا تزال النكتة من أقوى الوسائل فى نقد السلطة، خاصة عند المصريين المعروفين بالسخرية والتهكم وروح الدعابة. من ذلك ما يروى عن موجة النكات السياسية التى أعقبت هزيمة يونيو ١٩٦٧، تهكمًا على النظام العسكرى الذى قبض على السلطة بيد من حديد، حتى انتهى إلى تدمير البلاد فى هزيمة عسكرية ساحقة، إلى حد أن الرئيس جمال عبد الناصر دعا – فى إحدى خُطبه– إلى الكَفِّ عن تجريح رجال الجيش.

من هذه النكت التى تتهكم على العسكر: «العسكرى المصرى تحطه على الرمل يجرى»، «صفارة تجمعهم وعصاية تجرِّبهم». للتعبير عن الخنوع والجبن عند المحكومين، والصرامة والطغيان عند الحكام.

كان الرئيس عبد الناصر شخصية مهيبة – أو كارزما كما يقال – فلا يستطيع أحد أن يخاطبه مباشرة، لدرجة أن نائبه أنور السادات عندما سأله عبد الناصر عن الأغنية التى ستغنيها أم كلثوم الليلة، قال السادات:

سيادتك عمرى يا فندم!

من ناحية البناء اللغوى: تتميز النكتة بقصر العبارة، فهى مصوغة على

طريقة الأمثال، فى عبارة موجزة؛ لتحقق هدفها سريعًا. كما تتميز بالمفاجأة أو المفارقة، حيث تنتهى – غالبًا – بعنصر مفاجئ لا تدل عليه مقدماتها، وهو ما يولد التعجب والضحك، ويلفت العقل إلى مضمونها الساخر.

(٢) القصص السياسى :

فى فن القَصِّ يتقنَّع الخطاب السياسى وراء أقنعة متعددة، أهمها: الرمز. والرمز يتخذ صوراً مختلفة، لعل من أقدمها حكايات الحيوان، ومن أشهر الكتب التى اتخذت من حكايات الحيوانات رموزً لأفكارها السياسية: «كليلة ودمنة»، وهو كتاب هندى فى أصله، تُرجم إلى الفارسية، فنقله ابن المقفع إلى العربية، وزاد فيه بما يناسب حال واقعه السياسى، وكان إقبال ابن المقفع على ترجمة كتاب «كليلة ودمنة» نوعًا من الحيلة كى يستطيع أن يعبر فيه عن رأيه فى شئون الدولة، فقد كان يأمل من ورائها رفع الظلم وإشاعة العدل، فخاطب الخليفة على لسان الحيوان والطير، ولفت انتباه الرعية إلى الظلم الواقع فى المجتمع، كما شجعهم على مطالبة السلطان بتحقيق العدالة، ولعل هذا النقد السياسى للخليفة حتى ولو كان متقنِّعًا متخفيًا على ألسنة الحيوانات والطيور، هو الذى جعل أبا جعفر المنصور يوافق والى البصرة على قتل ابن المقفع للخلاص منه بأسلوبه التصفية الجسدية الشائع فى واقع السياسة المعاصرة.

(٣) الكاريكاتير :

كلمة (كاريكاتير Caricature) كلمة فرنسية تعنى: الفن الهزلى، والكاريكاتير شكل من أشكال التعبير السياسى، يمزج بين الصوة والكلمة فى تجسيد سريع وموجز للقضية التى يتعرض لها.

لقد جاء الكاريكاتير استجابة لمقتضيات العصر، وما تمليه من سرعة وصول المعلومة، وضمان الفاعلية والتأثير الفورى فى الجماهير، وذلك فى برقية

موجزة تخلص إلى لب القضية السياسية التى تعالجها بأسلوب تهكمى ساخر. يهدف إلى إبراز جانب بعينه أو عدة جوانب من موضوعه، لهذا فهو يميل إلى التشويه فى الصورة، بالتركيز عن طريق المبالغة على ملمح ما أو عدة ملامح فيها، كما يميل إلى التعليقات القصيرة اللاذعة.

يرتبط فن الكاريكاتير – بطبيعة الحال – بالصحافة، وكثيراً ما يوضع فى ثنايا الموضوعات الصحفية المختلفة تلخيصًا لها وإبرازًا للمحور الأساسى. والكاريكاتير بما يحمله من روح ساخرة ، يتيح للفنان التعبير عن آرائه السياسية، وتناول رموز المجتمع بالنقد، بصورة لا يمكن قبولها إذا جاءت فى لغة مباشرة، كما فى المقال والتحليل السياسى، ونحوه.

ومن أشهر فنانى الكاريكاتير العرب : الفنان الفلسطينى ناجى العلى، الذى اغتالته عناصر من الموساد الإسرائيلى، لخطورة فنّه على الكيان الصهيونى، وفضحه لممارساته العدوانية، كما كان «ناجى العلى» من المغضوب عليهم لدى حكومات عربية كان يوجه إليها نقده العنيف.

ومن أشهر الشخصيات التى ابتكرها خيال ناجى العلى : شخصية تُدْعى «حنظلة»، ويرسمه دائمًا من ظهره، قصيراً، عاقداً يديه خلف ظهره، ذاهلاً، كأنما يولى ظهره للعالم ولا ينشغل به، أو هو عاجز عن الفعل، فى استعارة تشكيلية تشير إلى الاستعارة اللغوية فى تعبير : مغلول اليدين.

ومن رسامى الكاريكاتير السياسى : زهدى، وصلاح جاهين، ومصطفى حسين. الذى كوَّن مع أحمد رجب – على مدى أكثر من عشرين عامًا – ثنائيًّا فنيًّا وسياسيًّا، مصطفى حسين يرسم الصورة وأحمد رجب يُعلِّق عليها بألفاظه الساخرة. ومن أشهر الشخصيات التى أبدعها هذا الثنائى :

شخصية فلاح كفر الهنادوة : وهو نموذج للشخصية المصرية المقهورة، ويرسم مرتديًا الزى الريفى المصرى المعروف، منحنيًا بجسمه أمام رئيس الوزراء

حاملاً مطالب الشعب وآراءه فى سياسة الحكومة.

شخصية عبد الروتين : وهو رمز للموظف الذى يتمسك بالروتين الحكومى، ويعطل مصالح الناس بسبب جموده وقلة وعيه وعدم مرونته.

شخصية كمبورة: وهو شخصية متعددة الأدوار، يدّعى الفهم فى كل شىء، مع أنه رمز للتخلف ومثال للسطحية والبعد عن الفهم والحضارة.

شخصية الكحيت : ويُرمز به للمواطن الفقير الذى تحاصره الهموم وتطحنه الأزمات غير أنه لا يعى ما هو فيه من تردٍّ وبؤس، وكثيراً ما يترك قضاياه هذه، ويتحدث عن أمور لا تهمه ولا تؤثر فى حياته، مثل آخر الصيحات والموضات وقصة شعر الأميرة ديانا ... إلخ، وهو رمز لغياب الوعى السياسى على المستوى الشعبى.

● الملامح اللغوية للخطاب السياسى:

أ - على المستوى الصوتى:

تنأى لغة الخطاب السياسى عن الأصوات المتنافرة أو الثقيلة الصعبة، وتميل إلى انتقاء الأصوات السهلة المتآلفة، لأن السهولة والوضوح من أهم ملامح لغة الخطاب السياسى، كذلك نجد الاستعانة بالمؤثرات الصوتية كالنبر والتنغيم لإبراز الرموز الصوتية المعبرة عنها.

فمثلاً فى جملة : الحرب ضد الإرهاب. إبراز كلمة الإرهاب كرمز لغوى يعبر عن خطورة الإرهاب.

وفى جملة : حماية الأمن الإسرائيلى، إبراز كلمة «الأمن» فى الجملة كرمز لغوى يعبر عن أهمية الأمن للمجتمع، واشتداد حاجته إليه.

وعلى مستوى الشعارات والهتافات؛ يلجأ الخطاب السياسى إلى التنغيم والسجع والجناس والطباق، ويمكن ملاحظة ذلك فى الهتافات التالية :

* لا إله إلا الله ... اليهود أعداء الله.

* الأرض دى أرضنا ... والحق حق ربنا.

* خيبر خيبر يا يهود ... جيش محمد سوف يعود.

* القدس الحزين يسأل ... أين صلاح الدين ؟!

* يا فلسطينى يا فلسطينى ... دمك دمى دينك دينى

* هذا الأقصى قد نادانا ... من سيعيد القدس سوانا

ب - على المستوى الصرفى :

يصطفى الخطاب السياسى الكلمات القصيرة الواضحة السهلة التى تخلو من التنافر.

أيضًا يحرص الخطاب السياسى على استعمال الكلمات الشائعة المعروفة لدى الجماهير كى يتحقق بها التواصل، مع تجنب الكلمات الغريبة غير المألوفة، أو التى بهـا ثقل فى النطق، مثل : الحرية - الأمن - العدالة فى الجانب الإيجابى، ومثل : الإرهاب .. التطرف .. فى الجانب السلبى.

ج - على مستوى التركيب :

يميل الخطاب السياسى إلى استخدام الجمل القصيرة المعبرة بوضوح، بعيداً عن اللبس أو الغموض أو التعقيد، وذلك لأن الجمل القصيرة تأخذ جهداً أقل من المستمع، على عكس الجمل الطويلة، ولكن الإفراط فى استخدام الجمل القصيرة قد يؤدى إلى نتيجة عكسية.

أيضًا تكثر لغة الخطاب السياسى من الجمل الاسمية التى تبدأ بالأسماء والمصادر. مع توظيف لأدوات النفى فى تقابل بين النفى والإثبات لإظهار الدلالة المقصودة.

د - التكرار فى لغة الخطاب السياسى :

كثيراً ما يلجأ الخطاب السياسى إلى التكرار، ويُعد التكرار من الوسائل

الفعالة فى التأثير على وعى الجماهير، لكنه يتطلب مهارة فى تنفيذه.

فمثلاً يمكن أن يكون التكرار لكلمة أو جملة تمثل منطقة قوة فى الخطاب، على نحو قولنا :

المرشح الناجح هو الذى يسعى من أجل خدمة دائرته.

المرشح الناجح هو الذى ...

المرشح الناجح هو الذى ....

ويمكن التكرار على الوجه التالى :

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر اضطربت الموازين ..

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر نجد ...

فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر .....

لقد أصبح تكرار الجملة الأولى فى الشاهدين السابقين مهمة عند السامع، وهى ربط المعانى المتباينة بهذا الحدث الذى ترمز إليه هذه الجملة.

ومن أشكال التكرار هتافات الطلبة أثناء المظاهرات ضد صلف إسرائيل وطغيان أمريكا :

قادم قادم يا إسلام .. حاكم حاكم يا قرآن

• التضاد فى لغة الخطاب السياسى:

تلجأ لغة الخطاب السياسى إلى التضاد لإظهار المعنى وإبرازه من خلال المقارنة التى يحدثها التضاد فى ذهن المستمع، فمثلاً نقول:

قبل عام وعد المرشح بـ .....

وبعد عام أنجز المرشح ما وعد به ...

فى الماضى كانت الجماهير ....

فى الحاضر فإن الجماهير ....

السامية
بين الحقيقة العلمية
وادعاءات اليهود

مصطلح «السامية» لغويًا :

يطلق مصطلح السامية لغويًا على مجموعة لغات تكوِّن فرعًا لغويًا ضمن خمسة أفرع تكوِّنُ فى مجموعها أسرة لغوية كبيرة هى : أسرة اللغات الأفروآسيوية، والمنطقة الجغرافية لهذه الأسرة شمال أفريقيا وشرقها، وفى جنوب غرب آسيا، وتحتوى هذه الأسرة على أكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة.

أطلق مصطلح السامية فى نهاية القرن الثامن عشر لدى العلماء الأوربيين، وكان أول من استعمله العالم الألمانى سلوتزر وزميله أيكهورن، وسبب هذه التسمية أن الشعوب التى تتكلم اللغات السامية هى – فى الأعم الأغلب – ضمن ذرية سام بن نوح (وهو فى العبرية شام Sham) كما جاء فى الفصل العاشر من سفر التكوين.

وتنقسم اللغات السامية إلى ثلاثة أقسام :

١ – القسم الشرقى، ويضم : البابلية، والآشورية، والكلدانية.

٢ – القسم الغربى، ويضم : الكنعانية، والفينقية، والآرامية، والعبرية، والسريانية، والنبطية، والتدمرية.

٣ – القسم الجنوبى، ويضم : العربية، والحبشية.

وكما يطلق مصطلح « السامية » على مجموعة اللغات التى تنتمى إلى الفرع السامى من فروع أسرة اللغات الأفروآسيوية، فإنه كذلك يطلق على مجموعة الشعوب التى تتحدث هذه اللغات، والشعب السامى الذى سكن فلسطين هم الكنعانيون، ويعود نسبهم إلى جدهم الأول كنعان.

وهناك شبه إجماع بين العلماء على أن المنطقة الجنوبية من الجزيرة العربية

– ومن ضمنها اليمن – هى الموطن الأصلى لتلك الشعوب السامية – المنحدرة من سام بن نوح (عليه السلام) – التى نزحت من جزيرة العرب فى أعقاب حالة الجفاف التى حلت بها بعد الدورة الجليدية الرابعة، وقد اتجهت هذه القبائل إلى شمال الجزيرة العربية، ومنها توزعت شمالاً وشرقًا وغربًا[١].

من الحقيقة التاريخية السابقة يكون الساميون العرب أساس تلك الشعوب والأمم التى شكلت تاريخ تلك المنطقة من أرض الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين.

ومع أنه ليس بالإمكان تحديد بدايات هذه الهجرات السامية من الجنوب إلى الشمال، فإن هناك من يقدر وقوع هجرة الساميين الذين استقروا فى بلاد سوريا وفلسطين باسم الكنعانيين قبل ٢٥٠٠ق.م[٢].

والكنعانيون من أهم الشعوب التى نشأت وعاشت فى المنطقة السورية قديمًا، وهم يُكَوِّنون سكان فلسطين ومنطقة الساحل الفينيقى والأجزاء الساحلية الشمالية فى نهاية الألف الثانية ق.م، ويجمع اسم الكنعانيين عناصر متعددة منها : الأموريون والمؤابيون والعمونيون والأدوميون والعبريون، الأمر الذى يشير إلى وجود «عوامل ربط» بين هذه الشعوب، أبرزها البيئة الجغرافية الواحدة، والأصول التاريخية المشتركة، والعادات والتقاليد المتشابهة، بالإضافة إلى الأصول اللغوية المتقاربة[٣].

---

(١) أحمد سوسة، حضارة وادى الرافدين بين الساميين والسومريين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، سلسلة دراسات (٢١٤) دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠، ص:٦٥.

(٢) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، القاهرة: ١٩٢٩، ص ٥٤.

(٣) محمد خليفة حسن، رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة، ١٩٩٥، ص: ١٩٦.

ويرى الأب دوفو أن بداية العصر البرونزى القديم (٣١٠٠ق.م) هى الزمن الذى استقر فيه الساميون لأول مرة فى فلسطين، وقد أطلق عليهم «الكنعانيون» تبعًا للكتاب المقدس، الذى يخلع هذا الاسم على السكان الساميين فى فلسطين قبل وصول الإسرائيليين[١].

ويرى الفرنسى «إدواردو» أن «عبرى» مشتقة من فعل شائع فى كل اللغات السامية، ومنها العبرية والعربية، هو الفعل «عَبَرَ» بمعنى تخطى واجتاز.

والعِبْر بكسر العين وسكون الباء معناه : الجهة الأخرى من الوادى أو من الجدول الصغير أو النهر، وكانت تسمية «عبرى» تطلق فى حينها على كل من يهاجر من العراق عابراً نهر الفرات إلى الشام، وكان اليهود الأُوَل كذلك)[٢].

وجاء فى سفر يشوع (٢٤/٢ - ٣) :

«هكذا قال الرب إله إسرائيل : إن آباءكم سكنوا فى عبر النهر منذ الأزل، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر، وسرت به فى كل أرض كنعان، وأكثرت نسله وأعطيته إسحق».

ونستنتج من هذا النص الموافق للدلالة اللغوية لكلمة «عبر» فى اللغات السامية أنه لم يكن للعبرانيين الإسرائيليين وجود، لا فى أورشليم ولا فى غيرها مما حولها من مدن فى القرن ١٤ ق.م، وهذا على عكس ادعاءات اليهود ومحاولتهم عَبْرَنَة كل شىء فى القدس وعَبْرَنَة تاريخها بكل أحداثه.

ولقوة الكنعانيين لم يستطع العبرانيون الاستقرار فى القدس وما حولها من مدن وسهول غنية، ولم يكن لهم وجود إلا على التِلال وأطراف البلاد والأماكن الفقيرة، حتى جاء منتصف القرن السابع عشر ق.م، وهاجر يعقوب - إسرائيل

---

(١) روجيه جارودى، فلسطين أرض الرسالات، ترجمة وتعليق عبد الصبور شاهين، القاهرة: دار التراث، د.ت، ص ٧٤.

(٢) الصهيونية العالمية وإسرائيل، د. حسن ظاظا، ص ١٦، ١٧.

– وبنوه إلى مصر فراراً من القحط فى المناطق التى كانوا يقيمون بها.

حتى جاء يشوع بن نون وقادهم إلى نهر الأردن واستولوا على بعض أرض الكنعانيين، وفى فجر الألف الأولى ق.م وَحَّدَ سيدنا داود – عليه السلام – قبائل إسرائيل الاثنتى عشرة، وأسس مملكة إسرائيل(١).

بلغت المملكة اليهودية قِمَّتَها حين فتح داود – عليه السلام – القدس، وجعل جبل صهيون مقرًّا للحكم، وتولى من بعده ابنه نبى الله سليمان – عليه السلام – سنة ٩٧٠ق.م، وطال حكمه أربعين سنة، وبعد سيدنا سليمان – عليه السلام – انحرف بنو إسرائيل، وطغوا وأفسدوا، فقتلوا أنبياءهم وارتكبوا الفواحش(٢).

---

(١) تولى داود (عليه السلام) الحكم بعد قتله شاول أو شاؤول (فى القرآن الكريم: طالوت) وهو أحد ملوك اليهود وقد عاصر النبى داود (عليه السلام)، وورد ذكره فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة/٢٤٩، أما جالوت أو جاليات فهو أحد حكام فلسطين من الجبابرة، وقد بارزه النبى داود وقتله بحجر من مقلاعه، وقد ورد ذكر ذلك فى قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) وفيهم أنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة/ ٩١.

التوظيف السياسى لمصطلح «السامية» :

يَضُخُّ الإعلام الصهيونى موجات متلاحقة على مستوى العالم وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية، حول قضية «معاداة السامية»، وتوجه المنظمات الصهيونية الاتهامات إلى الأفراد (على نحو ما حدث مع الأستاذ إبراهيم نافع رئيس جريدة الأهرام عام ٢٠٠٢م) أو إلى المؤسسات المختلفة (على نحو ما حدث مع مسلسل «فارس بلا جواد» فى التليفزيون المصرى)، أو إلى الدول والشعوب (على نحو اتهامهم المسلمين والعرب بمعاداة السامية).

وما من شك فى أن المنظمات الصهيونية تجيد الاصطياد فى الماء العكر، فقد وجدوا الفرصة مواتية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، للاستفادة بموجة العداء العالمى ضد المسلمين والعرب، لدرجة أنهم يعدون كل نقد للصهيونية أو لليهود وإسرائيل لونًا من معاداة السامية حتى إن بعض الكُتَّاب الإسرائيليين (إلياهو سلڤتر) كتب ينقد هذه المغالاة ويحذر من أثرها السلبى على اليهود فى العالم، وذلك تحت عنوان : «ليس كل نقد معاداة للسامية»[(١)].

والقصد من هذه الموجة التى تثيرها المنظمات الصهيونية تحت دعوى «معاداة السامية» هو إحداث لون من الإرهاب بتهمة «معاداة السامية»، وبالتالى يتولد الحذر لدى الكُتَّاب والمفكرين والهيئات والدول من تناول الصهيونية بأى نقد أو تجريح حتى ولو كان حقًّا، وتصبح قضايا إسرائيل

---

(١) راجع المقال بجريدة : ها آرتس فى ١٠/٤/٢٠٠٢ عن مجلة : مختارات إسرائيلية، العدد ٨٩ لسنة ٢٠٠٢، ص ٤٠.

والصهيونية من قبيل الأمور المحظورة، التى نطلق عليها التعبير الشائع المعروف : «محظور الاقتراب منها».

لقد بدأ عمل المنظمات الصهيونية فى قضية معاداة السامية فى أوروبا، وحققت نجاحًا كبيرًا فى مواجهة ما تراه معاديًا للسامية ، والآن بعد تشكيل منظمة باسم : معهد أبحاث إعلام الشرق الأوسط Middle East Media Research Institute، ومقرها فى واشنطن ولها فروع فى القدس ولندن وباريس وبرلين، وانضمت لها منظمة أخرى قديمة لها خبرة العمل هى : «عصبة مكافحة التشهير» Anti - Defamation League .

واستجدّت المنظمة محوراً جديداً ضمن أنشطتها لمواجهة ما تراه معاديًا للسامية فى الإعلام العربى، وبخاصة فى مصر والسعودية، كما أضافت هذه المنظمات إلى مواجهة[1] ما تراه معاديًا للسامية أمراً آخر نال اهتماماً بارزاً بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وهو تبرير السياسات العدوانية لإسرائيل.

وهكذا اختزلت إسرائيل مصطلح السامية وجعلته مرادفًا لليهودية، فالسامية هى اليهودية.

---

(١) راجع بتوسع : مختارات إسرائيلية، العدد ٩٦، ديسمبر ٢٠٠٢م، التوظيف السياسى لمعاداة السامية، د. عماد جاد، ص ٢.

حرب الكلمات

هذه ترجمة للفصل الأول من كتاب :

WAR OF WORDS

Language, Politics and 9/11

By

SANDRA SILBERSTEIN

First published U.S.A, New Yourk 2002

مقدمة المترجم

الحدث فى عيونهم

تعددت وجهات النظر الأمريكية حول أحداث سبتمبر، مثلما يحدث مع كل حدث فى أمريكا. أمريكا التى قامت على التعددية بكل معانيها : العرقية، والقومية، والسياسية، والدينية، والثقافية ... إلخ.

وبين أيدينا إحدى زوايا النظر إلى ذلك الحدث الرهيب، وهى زاوية أغفلت فى تحليلاتنا وتصوراتنا للحدث وتداعياته، إنها زاوية الخطاب اللغوى.

تنقل المؤلفة « ساندرا » هذا الاقتباس عن « روديريك هارت » :

« إن الرئيس هو المتحدث الأول ». وذلك فى ظل العصر الإعلامى الذى غيَّر وظيفة الرئيس، وجعل قوته مركزة - أساسًا - فى قدرته على الحديث وإقناع الجماهير.

وتلفتنا المؤلفة إلى الحيل البلاغية المختلفة، لإضفاء القوة والمصداقية على كلام الرئيس، مقارنة بين أسلوب كل من : فرانكلين روزفلت الذى قاد أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية، و « چورچ بوش » الرئيس الأمريكى الحالى الذى واجه أحداث « الثلاثاء الأسود ».

ويلتفت « تشومسكى »[1] إلى زاوية أخرى فى الخطاب السياسى

(١) راجع بتفصيل: ١١ سبتمبر ، نعوم تشومسكى، إعداد وترجمة: إلهام العيداروس وآخرين، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٢.

الأمريكى، فيورد تناقضاته، ويهاجم - بعنف - ما فى هذا الخطاب من تشنُّج، وقطعية محتجًا على ما أسمته آلة الدعاية الأمريكية: «إعادة بناء وحدة الأمة، فيقوم - ومعه مئات من مثقفى أمريكا وأوربا - بإصدار البيان الشهير الذى عرف بـ«بيان الضمير الأمريكى».

وإذا كانت هذه الأصوات العاقلة العادلة قد توارت خلف ضجيج آلة الإعلام وطبول الحرب الأمريكية؛ فإنها لن تتوارى إلى الأبد، وستظل ناقوسًا ينبه إلى خطر الدعاية الجوفاء وازدواجية الخطاب السياسى الذى يقول شيئًا ويُخفى أشياء.

وإليك ترجمة الفصل الأول من كتاب :

حرب الكلمات

السياسة واللغة و ١١ سبتمبر

الحرب ضد الإرهاب

تكمن قوة الرئيس فى قدرته على إقناع الجماهير

العالم السياسى « Richard Neustandt »

فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة من صباح يوم الحادى عشر من سبتمبر لعام ألفين وواحد، اصطدمت إحدى الطائرات التابعة للخطوط الأمريكية بالبرج الشمالى من مركز التجارة العالمى، ثم تَبع ذلك الاصطدام اصطدام آخر لطائرة أخرى بالبرج الجنوبى من المركز، وقد كان من الواضح أن الإعلام لم يكن يُغطى تلك الحادثة. لقد ثَبت ذلك ساعة أن اصطدمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاجون (مقر وزارة الدفاع الأمريكية) وتحطمت أخرى جنوب بيتسبرج.

صرخت العناوين الرئيسية لقناة الـ « سى إن إن » الإخبارية مُعلنة أن « الولايات المتحدة قد تعرضت للهجوم ». ومنذ ذلك الحين ظلت الـ « سى إن إن » لأيام عديدة تُعلن « أن هناك هجومًا قد شُنَّ على الولايات المتحدة »، ولكن سُرعان ما اعتبر هذا الهجوم عملاً حربيًا، إنه « بيرل هاربر » هذا الجيل.

لا يهدف هذا الفصل أو هذا الكتاب إلى التحدُّث بشأن صحة هذا التحليل أو شرعيته. (لقد استحال على أبناء عمومتى - والمؤرخين الأكاديميين فى جنوب مانهاتن - ألا يشعروا بأنهم يعيشون حالة حرب، ويَشْهدون جرائم حربية تُرتكب ضد المدنيين الأبرياء).

إن غاية هذه المناقشة هى أن نذكر بالتفصيل كيف تم تمهيد الطريق لبناء دولة ما

تواجه حربًا ،من خلال نشر اللغة بشكل استراتيجى.

أعتقد أن لاستخدام اللغة آثاراً عديدة؛ فإنها تخلق أو تُعيد خلق عوالم خاصة من الفهم والإدراك، لذلك سأستخدم بين الحين والآخر الجُمَل الاعتراضية (أى جملاً معترضة وتوضع بين فاصلتين أو قوسين) حينما أتحدث عن (إعادة) خلق أو تكوين أُمَّة مُتَّحدة مثلاً.

عندفحص اللغة الخطابية الرئاسية فى أعقاب الحادى عشر من سبتمبر، سنرى أن هناك حديثًا بشأن هجوم إرهابى يستحق ردًّا عسكريًّا أمريكيًّا صارمًا، وأيضًا تكوين ائتلاف جديد من دول الحلفاء.

يطرح هذا الفصل تساؤلاً مهمًّا ألا وهو : كيف أصبح الرد على الإرهاب حربًا ضد الإرهاب؟ لنتحدث قليلاً عن الإرهاب.

لسوء الحظ، يعتقد الأشخاص الذين يعيشون فى العصر الإلكترونى أن الإرهاب عمل يُصنع من أجل التليفزيون، يشير « Walter Laqueur » – وهو أخصائى فى علم الإرهاب – إلى أن :

« نجاح العملية الإرهابية برمتها يعتمد على مقدار الدعاية التى تلقاها هذه العملية، يُعدُّ هذا من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى الانتقال من حرب العصابات فى القُرى إلى القيام بعمليات إرهابية فى المدن فى الستينات من القرن العشرين؛ وذلك لأن الإرهابى فى المدن دائمًا ما يمكنه الاعتماد على وجود رجال الصحافة وكاميرات التليفزيون، وبالتالى قطاع جماهيرى عريض ».

يتغذى الإرهاب على وسائل الإعلام ،حيث إن هناك علاقة متبادلة تربط بينهما، يُشير الدبلوماسى السابق « دافيد لونج » إلى أن كلاً من مهمة الإعلام –التى تتمثل فى التغطية الإخبارية للأحداث – وقدرة الإرهابى على خلق أو تشكيل الأخبار، قد أدى إلى وجود علاقة تكافلية بين الاثنين، إنها علاقة لا

ينقل الإعلام من خلالها الأخبار فحسب، ولكنها تساعد الإرهابى أيضًا على خلقها، « لا تنجح الأحداث الإرهابية العنيفة إلا إذا قُدِّمت فى صورة أحداث مسرحية (متكلفة) مُخطط لها بعناية ».

تُعد الهجمات الإرهابية تحدِّيًا خاصًّا للحكومة، التى يجب عليها أن تخلق الانطباع بأنها قادرة على احتواء ذلك العنف ومنعه، بل وحماية مواطنيها، يجب عليها أيضًا أن تحدث توازنًا بين ظهورها بمظهر الحكومة غير المؤثرة وبين انتهاكها للحريات المدنية، إنها فى حاجة إلى أن تتأكد وتطمئن إلى أن الإرهابيين لا يسيطرون على الأخبار، يؤدى ذلك إلى خلق نوع من السلطة الرئاسية تعتمد على الإظهار الإعلامى لقدرتها الخاصة على الإقناع (القوة).

لهذا، غيَّر العصر الإعلامى شكل وظيفة الرئيس فى الولايات المتحدة، يصف « روديريك هارت » ذلك الدور الحديث الذى يمثله الرئيس قائلاً : « إن الرئيس هو المتحدث الأول ». يُعلن « هارت » أن الرؤساء نادراً ما كانوا يتحدثون، ولكن فيما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٧٥ ازداد عدد الخُطب المهمة التى ألقاها رؤساء الولايات المتحدة إلى نسبة تُقدّر بحوالى خمسمائة بالمائة، وقد أخذت هذه النسبة فى الازدياد، يذكر « هارت » أيضًا أن كل ما يقوله الرئيس وما يفعله يعكس ذلك الرأى القائل إن التحدث هو الحُكم وممارسة السلطة، وأن قوة الرئيس تكمن فى قدرته على إقناع الجماهير.

هذه القوة وهذا الإقناع يكمنان فى حرية الوصول إلى الإعلام، بل والقدرة على تشكيل أو صياغة عملية رفع التقارير الإخبارية. وعلى الرغم من قيام الإرهابيين بخلق الأحداث المنقولة عبر شاشة التليفزيون، إلا أننا نجد « ستيفن ليڤنجستون » الأخصائى فى مجال الاتصالات يناقش مسألة أن القدرة على تشكيل عملية رفع التقارير الإخبارية تُبقى على صلاحية الحكومة :

«عادة ما تنسب القدرة على تشكيل المدركات المتعلقة بأحداث العنف وممثليها الأساسيين (لكل من مرتكبى الجريمة وضحاياها) إلى الموظفين الحكوميين وليس إلى الإرهابيين، إن التساؤل الذى يطرحه هؤلاء الموظفون فى المقام الأول هو : من هم الإرهابيون ؟ إن من لديهم حرية الوصول إلى وسائل الإعلام – هؤلاء الذين يلجأ إليهم مُحررو الأخبار عندما يهدأ الاضطراب ويتوقف إطلاق النار – هم الذين يتمتعون بالقدرة على تشكيل المدركات وعملية تغطية الأحداث».

كانت تلك هى المهمة التى وجب القيام بها فى الحادى عشر من سبتمبر عندما خاطب الرئيس الأمريكى «چورچ بوش» شعبه. تستلزم هذه الخطب الرئاسية عمل تغطية إخبارية، حيث إن «بوش» قد تحدث إلى شعبه فى ذلك اليوم ثلاث مرات، بما فى ذلك خطاب ألقاه فى الساعة الأولى من النهار حيث توجد أكبر نسبة مشاهدة (يمكنك الاطلاع على هذه الخُطب فى الملحق الموجود آخر هذا الفصل). لقد كان هنالك أيضاً أربع مذكرات ألقاها البيت الأبيض، وبيان ألقاه وزير الصحافة، وبالطبع شغلت تصريحات الموظفين الحكوميين الحاليين أو السابقين جميع الموجات الإذاعية.

لقد جاءت تعليقات «بوش» الأولى على الموقف – بعد مرور خمس وأربعين دقيقة من ارتطام الطائرة الأولى بمركز التجارة العالمى– موجزة؛ لقد تحدَّث لمدة دقيقة واحدة فقط، من مدرسة «إيما بوكر» الابتدائية فى «ساراسوكا» بفلوريدا. لقد صوَّر فى تعليقه الأحداث بدقة بالغة – جديرة بالملاحظة – قائلاً : «ارتطمت طائرتان بمركز التجارة العالمى». لقد وصف الموقف أيضًا قائلاً : «لحظة عصيبة تمر بها الولايات المتحدة»، «هجوم إرهابى صريح» و «مأساة قومية». لم تكن الولايات المتحدة وقتها فى حربٍ بعد.

عند فحص الجملتين التاليتين سنركز النظر على اللغة المستخدمة، وخاصة

الخيارات النحوية. تسهم هذه التعليقات أيضًا فى عملية (إعادة) البناء أو التركيب البلاغى لبوش الرئيس، إنه المسيطر، يُشار إليه نحويًا بأنه معلوم، لاحظ أستخدامه للضمير الشخصى «I : أنا» وبصيغة المبنى للمعلوم فى الجملة الآتية التى تعبر عن قيادته لموارد الدولة بأكملها :

«لقد تَحَدَّثْتُ إلى نائب الرئيس، وإلى حاكم ولاية نيويورك، وإلى مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى، كما سخَّرتُ جميع موارد الحكومة الاتحادية لمساعدة الضحايا وأسرهم، وأيضًا لإجراء تحقيقات شاملة تهدف إلى التفتيش عن مُرتكبى هذه الجريمة ومطاردتهم اينما وُجِدوا».

يتناقض هذا الأسلوب فى التعبير مع الأسلوب الذى اتبعه النائب العام «چون أشكروفت» فى تعليقاته على الموقف فى ذلك اليوم، حيث استخدم صيغة «المبنى للمجهول» : «لقد تم تحديد المواقع التى حدثت بها هذه الجريمة بواسطة السلطات الفيدرالية». نلاحظ أيضًا أنه لم يذكر الفاعل الذى قام بالفعل فى بعض الجمل : «لقد تم نشر جميع الموارد التابعة لوزارة العدل بشكل استراتيجى من أجل التحقيق فى هذه الجرائم ومساعدة الناجين منها، وأيضًا أسر الضحايا». فى تعليقات الرئيس ، نجد أنه قد قام بنفسه بعمل كل ما هو مستطاع من أجل مساعدة المواطنين وحمايتهم.

لقد كان الرئيس حازمًا فى قوله : «لن يستمر هذا الإرهاب ضد أمتنا». لقد غلب على أسلوبه الطابع الرئاسى وأيضًا العامِّى حينما تعهد بإيجاد «هؤلاء القوم الذين ارتكبوا هذه الفعلة»، لقد أشار أحد الدارسين إلى أن «الرئاسة لا تزال حكومة مَلَكية عامِّية (غير رسمية) لعينة».

لقد أوجد الرئيس أمة متحدة – من الناحية النحوية – تحت رعاية الله حينما أعلن : «نحن نمر بمأساة قومية». بالنظر إلى الضمائر المستخدمة هنا،

سنجد ما أطلق عليه العالم اللغوى « جون ويلسون » : النافذة الضميرية إلى فكر القائد السياسى واتجاهاته. غالبًا ما تكون الإشارة إلى الضميرين « We : نحن » و« You : أنت أو أنتم » غامضة (سيذكِّرنا ذلك بنصائح « مُدَرِّسينا » فى المدرسة الثانوية العليا بتجنب استخدامهما !). سنجد غموضًا بالطبع فى أسلوب التعبير الذى استخدمه مسئول الخدمات الصحية والإنسانية « تومبسون » فى ذلك اليوم: « يجب الآن البدء فى معالجة ما حدث من جرَّاء هذه المأساة ». يناقض ذلك استخدام بوش للضمير (نحن) الذى أشار به إلى أمة (أعاد) بناءها وتوحيدها من خلال تعليقاته : « لن يستمر الإرهاب ضد أمتنا ». وبعد أن قام « بوش » يجعل مُسْتَمعيه أُمَّة واحدة مُتَّحدة أنهى خطابه قائلاً : « والآن لنتوحد فى لحظة من الهدوء والسكينة مبتهلين إلى الرب أن يُبارك الضحايا وأُسرهم والولايات المتحدة . شكراً جزيلاً ».

بالهجوم على البنتاجون وسقوط الطائرة، ورحلتها رقم (٩٣) – التى يُفْترض أنها كانت مُتجهة إلى البيت الأبيض – واجه المسئولون عن سلامة الرئيس مأزقًا كبيرًا، حيث كان يتوجب الحفاظ على سلامة الرئيس بإبقائه فى مواقع آمنة من ناحية، كما كان الرئيس فى حاجة إلى أن يكون ظاهرًا خطابيًّا – من خلال الإعلام – من ناحية أخرى. لقد تحدَّث الرئيس مرة أخرى فى الساعة الواحدة وأربع دقائق ظهراً من قاعدة « باركسديل » الجوية فى « لويزيانا ». لقد كانت مهمته الأولى فى هذا الخطاب هى أن يُعيد طمأنة شعبه؛ لذلك يبدأ حديثه قائلاً : « أرغب فى أن أُطَمْئِنَ الشعب الأمريكى على أن جميع موارد الحكومة الفيدرالية تعمل من أجل مساعدة السلطات المحلية فى إنقاذ الأرواح ومساعدة ضحايا تلك الهجمات أيضاً ».

على الرغم من غياب الرئيس عن العاصمة، إلا أنه كان قادراً على التأكيد أنه قد قام بتوجيه جميع موارد الدولة من أجل خدمة الضحايا وأسرهم. نجده

أيضًا قادرًا على طمأنة هؤلاء الذين يعتقدون أن التحدُّث هو الحُكْم، وذلك فى قوله : «إننى على اتصال منتظم بنائب الرئيس، ووزير الدفاع، وفريق الأمن القومى، ومجلس الوزراء». يتجه حديث «بوش» إلى التعبير عن ضرورة خدمة حكومة شعبه: «لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لمواصلة حكومتكم أداء مهامها» والحفاظ على أمنه وسلامته أيضًا : «لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لحماية الشعب الأميركى».

عند سماعنا لهذه التصريحات سنجد العديد من الدلائل أو الإشارات إلى نية التخطيط للقيام بأعمال عسكرية، وذلك فى العديد من العبارات : «لن نرتكب خطأ، ستقوم الولايات المتحدة بمطاردة المسئولين عن هذه الجرائم – التى تتسم بالجُبْن والوضاعة – ومعاقبتهم». لا يبدو أن هذه العبارة تضع الولايات المتحدة على قدم الحرب. توحى مطاردة الجُناة ومعاقبتهم بضرورة القيام بأعمال سرية تقود – مثلاً – إلى قتل مرتكبى هذه الجريمة أو تسليمهم للعدالة، ويكون ذلك بإشراف من الولايات المتحدة أو القانون الدولى. يمكن أيضًا أن تعنى هذه العبارة القيام بأعمال عسكرية رسمية، ولكن سرعان ما ستأتى الإشارة الثانية إلى نية القيام بأعمال عسكرية : «إننا على اتصال بزعماء «الكونجرس» وزعماء العالم كى نؤكد لهم أننا سنفعل أى شىء نراه ضروريًّا لحماية أمريكا والأمريكيين».

يُعدُّ هذا الأسلوب فى التعبير أكثر إنذارًا بالسوء. عندما يتحدث الرئيس فإنه يَحكم. ربما ستبدأ تلك الكياسة المتبعة لتهديد الحلفاء فى أن توضع فى مكانها الملائم، لقد كان الرئيس صارمًا حتى إنه ردَّد عبارة: «لن نرتكب خطأ» مرتين. لقد كان يخاطب تلك الأمة المتحدة عندما قال هذه العبارة للمرة الثانية: «يخضع الآن صدق عزيمة شعبنا العظيم للاختبار. ولكننا لن نرتكب خطأ : سنُظهر للعالم أجمع أننا قادرون على اجتياز هذا الاختبار».

يتشابه ذلك التصريح الذى ألقاه الرئيس فى قاعدة « باركسديل » مع تصريحه الأول : إنه يضع الرئيس فى موضع المسئولية، ويُخضع جميع موارد الدولة لخدمة الشعب، ولكن بدأت سلطته فى الاتساع، وبدا حديثه أكثر تفصيلاً حينما قال : « لن يستمر الإرهاب ضد شعبنا » . نجد فى البيان الموجز الثانى أقوالاً مُطَمْئِنَةً عن وجود حل لهذه الأزمة، ولكنها كانت مصحوبة بما يؤكد للشعب ضرورة قيام الحكومة بفعل ما : « سنفعل أى شيء نراه ضروريًا » . لقد اختتم الرئيس هذا التصريح مستخدمًا النبرة الدينية كالتصريح الأول؛ فبعد أن أشار إلى أن الشعب سيجتاز الاختبار، شكر « الناس » الذين كانوا يرفعون من شأن الجهود المبذولة لإنقاذ الأرواح، ثم أهدى صلاته ودعواته للضحايا وأسرهم، اختتم بوش حديثه « بمباركة الرب » .

فى المساء أعلن الرئيس « الحرب ضد الإرهاب » فى حديث له ألقاه على مدى خمس دقائق – فى وقت توجد فيه نسبة مشاهدة عالية – خاطب فيه الشعب. يبدأ الرئيس فى وصف تلك الهجمات قائلاً : « إن المسألة ليست مجرد طائرتين اصطدمتا بمركز التجارة العالمى، أو أن تلك الهجمات تمثل أحداثًا مأساوية، بل أنها هجمات شُنَّت ضد مجرى حياتنا والأسلوب الذى نحياها من خلاله » .

« مساء الخير، مواطنينا الأعزاء، لقد تعرَّض اليوم مجرى حياتنا وحريتنا للهجوم، من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة. لقد كان الضحايا فى الطائرات، أو فى وظائفهم؛ سواء كانوا سكرتارية، رجالَ وسيداتِ أعمالٍ، موظفين فيدراليين وعسكريين؛ آباءً وأمهاتٍ، أصدقاءً وجيرانًا. لقد سَلَبَتْ تلك الأعمال الإرهابية الآثمة، التى تستحق الازدراء، آلاف الأرواح بشكل مفاجئ » .

لقد تم إنجاز الكثير بلاغيًّا فى هذه السطور القصيرة. لقد تمت استثارة المواطنين قاطبة، تتحد تلك الاستثارة مع استثارة أخرى للرموز الإقليمية المتعلقة بـ« مجرى الحياة » و « الحريات ». إن استثارة هذه الرموز ما هى إلا استثارة لمبادئ أو قواعد سلوك سيضحى معظم الأمريكيين بحياتهم من أجلها. يجب أن نتحدث قليلاً عن كل من الشعب والرموز؛ من أجل الوصول إلى طريقة لفهم كيفية نشر هذه المفاهيم بشكل استراتيجى، من خلال اللغة.

يُعرِّف « بينديكت أندرسون » – وهو دارس فى علم الأنثروبولوجيا– الأمة بأنها « جماعة سياسية مُتخيَّلة »، يخبرنا « أندرسون » بأنها متخيلة لأن أعضاء الأمة حتى ولو كانت أصغر الأمم عدداً لا يعرفون الكثير عن الأعضاء الآخرين من زملائهم، لا يقابلونهم أو حتى يسمعون عنهم، ومع ذلك يحيا فى عقل كل منهم صورة أو تخيُّل لوجود تجاوب روحى وفكرى يجمع بينهم.

تميل الحدود القومية أيضًا إلى كونها حديثة، مرنة وطارئة. وبما أن الحكومات (الدول) القومية كيان فلسفى، فإنه يتم سلبها قوتها إلى حد ما، ومع ذلك نجد اليوم جميع الأفراد الذين يعيشون على هذا الكوكب مفطورين على الحس القومى.

تبحث « لورين برلنت ١٩٩١ » الدارسة فى العلوم الأدبية بناء الشعب الأميركى. تذكر « بيرلنت » : « أن أمريكا تربط الأمريكيين بعضهم ببعض على نحو معقد، لأننا نقيم فى الحيز السياسى للأمة ». ليس هذا الحيز أو هذا المكان مجرد حيز قانونى، جغرافى، تاريخى، لغوى، أو تجريبى، إنه « عنقود متشابك من كل هذا » تُطلق « بيرلنت » على هذا الحيز السياسى اسم « الرمز القومى » حيث إنه يستحضر جميع الرموز التى تستثير أمريكا. يمكن أن يُنظر إلى المنطقة الخطابية للحادى عشر من سبتمبر على أنها موقع رمزى قومى. وتُناقش

« بيرلنت » مسألة مهمة ألا وهى: أننا دائما ما نواصل (إعادة) بناء الأمة من خلال التطبيقات اللغوية. من أهداف الرمز القومى إحداث تصور باطل عن وجود اتحاد قومى.

فى الواقع، يُعدُّ ذلك التعهد بتحقيق الاتحاد القومى وهميًّا ولا يمكن تطبيقه، من خلال الشخصية القومية يتحرر الفرد من الاتحادات أو الانتماءات المحلية فقط، ويتم التعهد له بأنه سيتمتع بشخصية تضامنية غير محدودة، ولكن تلاحظ « بيرلنت » أن « الأشخاص لا يكونون على طبيعتهم فى الاتحادات المحلية » . يجب أن (يعاد) صنع الشعوب والأمم. تَعدُ التغطية الإعلامية للألعاب الأوليمبية - مثلاً - ابنتى الصغيرة بشخصية تضامنية (جماعية) كما تُحْيَى الأمة، حتى عندما « يتعرض الرياضيون للهجوم » .

فى خطاب الرئيس « بوش » الذى ألقاه فى ساعةٍ توجد فيها أكبر نسبة مشاهدة، نجد أن الأشخاص المؤهلين ما هم إلا أمريكيون (أُعيد) تشكيلهم - لقد تعرضوا للهجوم فى الطائرات وفى وظائفهم؛ أمهات وآباء. إن المنطقة الرمزية الأمريكية هى الموقع الذى ألقى منه الرئيس هذه الخطبة:

« لقد تم تحريك شعب عظيم من أجل الدفاع عن أمةٍ عظيمة. إن الهجمات الإرهابية قادرة على زعزعة أسس أكبر منشآتنا، ولكنها غير قادرة على أن تمس الأساس الأمريكى، إن هذه الهجمات قادرة على أن تُحطم الفولاذ، ولكنها غير قادرة على التأثير فى صلابة العزيمة الأمريكية، لقد استهدفت الولايات المتحدة لأنها هى منارة الحرية والفُرَص، وهى الأكثر تألقًا على مستوى العالم، لن يمنع أحد ذلك الضوء من السطوع. لقد شهد شعبنا اليوم شرًّا عظيمًا هو أسوأ ما تتسم به الطبيعة البشرية. وتمثل رد فعلنا فى تسخير جميع المجهودات الأمريكية - للخروج من هذه الأزمة - المتمثلة فى جسارة عُمال الإنقاذ، الاهتمام

بالغرباء، والجيران الذين أتوا للتبرع بدمائهم، وأيضًا للمساعدة بأية وسيلة يرون أنهم قادرون عليها.

إنه يوم يتَّحد فيه جميع الأمريكيين من حقول الحياة المختلفة فى إصرارهم وعزيمتهم من أجل تحقيق العدل والسلام. لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل، وستفعل ذلك هذه المرة، لن يَنْسَى أىٌّ منا هذا اليوم أبداً. مع ذلك سنتقدم من أجل الدفاع عن الحرية ، وكل ما هو صالح وعادل فى عالمنا».

تتسم هذه اللغة الخطابية عن البناء القومى بأنها تتبع أسلوب «التقارب عن طريق التباعد» أو «التضافر عن طريق الاختلاف» نلاحظ أن هناك تناقضًا بين الأمريكيين وأعدائهم المشتركين، نجد أن الشر - وهو أسوأ الصفات التى تتسم بها الطبيعة البشرية - يقابله أفضل شيئين فى أمريكا ألا وهما الجسارة ورعاية الآخرين. هناك تضاد آخر بين «الأفعال الجديرة بالازدراء، والقتل الجماعى» وبين «منارة الحرية، العدل والسلام، الأكثر تألقًا وإشراقًا فى العالم»، ستستمر هذه التناقضات أثناء الحرب الخطابية، وسيستخدمها أيضًا رؤساء الدول الأخرى المتحالفون مع هذه الدولة، وذلك من أجل لم الشعث وحث المواطنين على القيام بعملٍ مشترك.

فى الحادى عشر من سبتمبر صرَّح رئيس الوزراء البريطانى «تونى بلير» بأن : «الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الجريمة لم يراعوا قداسة الحياة البشرية أو قيمتها، لذلك يجب علينا كشعوب ديموقراطية أن نتحد معًا ...» لقد كرر هذه التعليقات فى الثانى عشر من سبتمبر:

«يدرك العالم الآن مدى شر وقدرة الإرهاب الدولى على تهديد العالم ألديمقراطى بأسره. إن الإرهابيين المسئولين عن هذه الجريمة لا يتمتعون بذرَّة من الإنسانية أوالرحمة أو العدل. يقتضى ارتكاب مثل هذه الجرائم تعصبًا وشرًا لا يمكن تخيله».

لقد قيل إن لغة الرئيس الخطابية تتميز بأسلوبين: الأول استشارى أو مُحرِّض، وهو مُفعم بالتفاؤل، أما الأسلوب الآخر فهو تعليمى (مدْرَسىٌّ أو تربوى) مُفعم بالواقعية والثقة والرمزية المصوغة فى عبارات إنسانية. يجب على الرؤساء أن يجمعوا – إلى حد ما – بين التيارين، إلا أن الرؤساء من الأفراد يميلون إلى أسلوب عن آخر، يُظهر حديث « بوش » أسلوبًا تعليميًّا، وذلك على نحو ساخر، من خلال إطالته للدُعابات عن سلوكه الفطرى.

سيصبح ذلك هو أسلوب الرئيس فى الأيام التالية. فى خطاب الحادى عشر من سبتمبر، استحضر « بوش » الرموز الأمريكية، كما صاغ حديثه فى عبارات إنسانية وعبارات تُصوِّر يقينًا وواقعية دون كلل أو ملل. يتضح ذلك حينما قام الرئيس بوصف الموقف على نحو واقعى، ثم أضاف – بيقين لا يتزعزع – أن الأمة هى التى ستنتصر وتسود :

« لقد زعزعت صور الطائرات – وهى تخترق البنايات الضخمة – إيماننا، كما ملأتنا بحزنٍ عميق وغضب شديد، لقد قصدت أعمال القتل الجماعى تلك إلى تخويف أمتنا وجعلها فى حالة فوضى واستسلام، ولكنها فشلت فى تحقيق هدفها لأن بلادنا صلْبة وقوية ».

لقد تحدث الرئيس بثقة زائدة طوال خطابه حينما أكد :

« إن قوتنا العسكرية قوية ومُعدَّة ».

« ستستأنف حكومتنا أداء مهامها دون توقف ».

« لا تزال مؤسساتنا المالية قوية ».

« لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل، وستفعل ذلك هذه المرة ».

فى ذلك اليوم أخذ « بوش » فى بناء ملامحه الرئاسية بواقعية مُفعمة بالثقة، لقد أعلن الخطوات التى اتخذها باعتباره ممثلاً للسلطة التنفيذية :

«فور انتهاء الهجوم الأول، قمت بتنفيذ العديد من الخطط التى وضعتها حكومتنا ، استجابة لتلك الحادثة الطارئة» .

«لقد وجهت جميع الموارد الخاصة بدوائر الاستخبارات والدوائر المختصة بتنفيذ القانون فى طريق واحد، هو إيجاد الجُناة وتقديمهم للعدالة» .

وهناك طرق جديدة أشار «بوش» من خلالها إلى الامتيازات الرئاسية، لاحظ الجملتين التاليتين :

«إن تقديرى لأعضاء الكونجرس - الذين انضموا إلىَّ فى استنكار هذه الهجمات - عظيم» .

«وبالنيابة عن الشعب الأمريكى، أتوجه بالشكر إلى زعماء العالم الذين سارعوا بالاتصال لتقديم العون والعزاء» .

لا يمكن أن تفسر تلك الاستنكارات فى الجملة الأولى على أنها تصريحات حرة مستقلة، وإنما يمكننا أن نلاحظ أنها تحمل فى طياتها تصريحات يريد الرئيس أن يقول من خلالها: «انضمُّوا إلىّ» . أما فى الجملة الثانية فيتحدث بوش: «نيابة عن الشعب الأمريكى» . لقد وضعت اللغة - فى كلتا الحالتين - الامتيازات الرئاسية فى المقدمة، من حيث القدرة على تقرير جدول الأعمال، والتحدث نيابة عن الشعب . لم يتم وضع ذلك التأكيد على دعم الكونجرس والعديد من زعماء العالم فى المقدمة، وإنما أُعلن كشىء قد تم التسليم به بالفعل . يترك إعلان ذلك الائتلاف الفرصة أمام أول إشارة إلى الحرب :

«تتحد الولايات المتحدة وأصدقاؤها وحلفاؤها مع جميع من يريد الأمن والسلام فى العالم، وسنقف معًا من أجل الانتصار فى حربنا ضد الإرهاب» .

فى خطابه الرسمى الأول ذلك اليوم، أثار الرئيس «بوش» الموضوعات التى

ستسير وفقها سياسة الولايات المتحدة وقراراتها فى المستقبل، ألا وهى : الشر والإرهاب، والحرب ضد الإرهاب.

يسير «بوش» على نفس خُطا شعبه من الناحية البلاغية، سنرى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب أن جمهور المواطنين سرعان ما أطلقوا على الحادى عشر من سبتمبر تعبير: عمل إرهابى. لقد أشارت «كولين»، وهى إحدى المواطنات إلى مُخْتطفى الطائرات بقولها : «إنهم خنازير إرهابيون متعصبون» وذلك بعد الهجمات مباشرة، لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك؛ حيث أعطت «بوش» المسئولية القيادية التى ستمكنه من اتخاذ القرارات اللازمة : «أيًّا ما كان الذى سيتوجب علينا أن نفعله لتخليص العالم من هذا الوباء، أتمنى أن يقوم «بوش» بعمل كل ما يلزم للتخلص منهم وإبادتهم».

تعكس تعليقات «كولين» حقائق القرار العسكرى الأمريكى الحديث. أوضح كل من «كامبل» و «چيميسون» - الأستاذين فى علم البيان - ذلك بقولهم : «إن النموذج البلاغى (الخطابى) الموجود فى الدستور هو لرئيس يذهب إلى الكونجرس مُلتمسًا إعطاءه التفويض الذى سيمكِّنه من تمثيل دور القائد المسئول؛ إن النموذج الذى تطور بمرور الوقت هو لرئيس يأخذ على عاتقه القيام بهذا الدور، ويطلب تصديق الكونجرس على ذلك».

لقد عُرف هذا الدور أو هذا المنصب من خلال قانون القوى الحربية الذى صدر عام (١٩٧٣)، الذى يسمح للرئيس بإدخال القوات الجوية الأمريكية غمار المعركة دون إعلان رسمى للحرب. إن الإصرار على استدعاء قوات الجيش خلال فترة زمنية محددة لم يُختبر حتى الآن.

يوضح «كامبل» و «چيميسون» أن الحديث الدستورى عن التعاون بين الرئيس والكونجرس قد استبدل - بمرور الوقت - بآخر تبريرى. لقد أثبتا أن اللغة الخطابية الرئاسية عن الحرب طوال تاريخ الولايات المتحدة تُظهر خمس خصائص:

(١) يُظهر كل عنصر فيها أن القرارات الخطيرة التى تتعلق باللجوء إلى القوة متانية، حيث إنها نتيجة لتفكير وبحث عميق.

(٢) يتم تبرير التدخل باستخدام القوة من خلال عرضٍ للأحداث وفقًا لتسلسلها الزمنى، أو سردٍ للأخبار تُشتق منه تصريحات جدلية تحتمل الخلاف والمناقشة.

(٣) يُنصح الجماهير بالعمل على توحيد أهدافهم والتزامهم التام بواجباتهم.

(٤) لا تُبرِّر اللغة الخطابية استخدام القوة فحسب، ولكنها تَنْشُد تولى الرئيس سلطات قانونية استثنائية باعتباره القائد المسئول والقائم على أداء الخصائص السابقة.

(٥) يلعب تشويه الحقائق – الذى يتم بشكل استراتيجى – دوراً فريداً فيما ينادى به.

ستألفون العديد من هذه الخصائص فى مناقشتنا التالية. لقد سيطر الحديث عن الحرب على كل مُراسلات البيت الأبيض بعد الحادى عشر من سبتمبر. وحِفاظًا على بعض تقاليد الحرب، عَقَد الرئيس جلسة مُشتركة فى الكونجرس خاطب فيها أعضاءه والشعب الأمريكى فى العشرين من سبتمبر. إن ما سهل مهمة الرئيس فى إقناع الجماهير هو القرار المشترك الذى أصدره الكونجرس فى الثانى عشر من سبتمبر، الذى خصَّص بالفعل أموالاً ضخمة من أجل الحرب ضد الإرهاب، والذى ساند الرئيس أيضًا فى قراره «بتقديم مرتكبى هذه الهجمات والمُخططين لها للعدالة من أجل معاقبتهم».

لقد كان خطاب الرئيس فى العشرين من سبتمبر تعليميًّا من الدرجة الأولى. لقد أظهر الرئيس تفكيره المتانى العميق قبل اتخاذ القرارات الخطيرة

مُحققًا بذلك الخاصية الأولى – التى أثبتها كل من كامبل، وچيميسون – التى يتميز بها الحديث الرئاسى عن الحرب، وذلك من خلال استخدام سلسلة من الأسئلة أُجيب عليها بدقة وبتفصيل تام، سنتأمل فقط الأسئلة الموجودة لدينا هنا:

« يطرح الأمريكيون الليلة العديد من التساؤلات :

إنهم يتساءلون: مَنْ هاجمنا ؟

الأمريكيون يتساءلون : لماذا يكرهوننا ؟

الأمريكيون يتساءلون : كيف سنقاومهم لننتصر فى هذه الحرب ؟

الأمريكيون يتساءلون : ما هو المتوقع مِنَّا؟ »

نجد فى هذا الخطاب أيضًا أن خاصية « كامبل وچيميسون » الثانية قد تحققت، من حيث تبرير الحرب ضد الإرهاب، من خلال عرض الأحداث وفقًا لتسلسلها الزمنى:

« فى الحادى عشر من سبتمبر، ارتكب أعداء الحرية عملاً حربيًّا ضد بلادنا. لقد عَرَف الأمريكيون الحروب، ولكن لمائة وستة وثلاثين عامًا مضت كانت تلك الحروب ضد بلادٍ أجنبية فيما عدا تلك الحرب التى شُنَّت ضد الولايات المتحدة فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ . لقد عرف الأمريكيون الويلات والكوارث التى تُسبِّبها الحروب، ولكنها ليست مثل هذه الكارثة التى حدثت فى صَدر أعظم مدينة فى صباح هادئ. لقد عرف الأمريكيون الهجمات المفاجئة، ولكنها لم تكن كتلك التى شُنَّت ضد آلاف المدنيين، لقد تعرضنا لكل هذا فى يوم واحد . لقد هبط الليل فى ذلك اليوم على عالم مختلف: عالم تعرَّضت فيه الحرية ذاتها للهجوم».

لقد حثَّ الرئيس مستمعيه على الاتحاد والاتفاق فى الأهداف والالتزام بالواجبات. بدأ الرئيس حديثه عن تلك الأمور مستخدمًا فى ذلك جملة خاصة هى «أطلب منكم» :

«أطلب منكم تدعيم القيم الأمريكية، وأن تتذكروا السبب الذى أتى من أجله الكثيرون إلى بلادنا.

أسألكم مواصلة تدعيمكم لضحايا هذه المأساة ماديًّا أو معنويًّا.

أسألكم الصبر واحتمال الإجراءات الأمنية المتشددة التى سيصحبها شىء من البطء والإزعاج، وأسألكم الصبر أيضًا على هذا الكفاح الذى سيستمر طويلاً.

أسألكم مشاركتكم الدائمة، والثقة فى الاقتصاد الأمريكى.

وأخيراً لتداوموا على الصلاة والابتهال».

لم يُطلب من الأمريكيين هنا التضحية بحياتهم، ولكن سيطلب منهم ذلك فى موضع آخر سنتعرض له الآن. تبدأ الحملة الخاصة التى تطالب الأمريكيين بتوحد أهدافهم بالعبارة الآتية : «سنتحد» :

«سنتحد لتحسين الأمن الجوى، سنتحد من أجل إمداد الدوائر المختصة بتنفيذ القانون بالأدوات الإضافية اللازمة لتعقب الإرهابيين ومعرفة عواطفهم. سنتحد من أجل اتخاذ خطوات فعالة تساعد على تقوية الاقتصاد الأمريكى، وتعيد إلى أفراد الشعب وظائفهم التى سُلِبَت منهم».

نلاحظ أن الوحدة المطلوبة هنا هى وحدة عالمية شاملة أيضًا:

«إنها ليست معركة أمريكا وحدها، ليست حرية أمريكا وحدها هى التى

تواجه خطراً، إنها معركة العالم أجمع، إنها معركة الحضارة، إنها معركة كل مَنْ يؤمنون بالتقدم والتعددية والتسامح والحرية. ندعو جميع الدول والشعوب إلى الانضمام إلينا .... يهرع العالم المتحضر إلى نصرة الجانب الأمريكى ...».

يقف «بوش» هنا على أرضٍ صلبة؛ لقد كان «تونى بلير» قد أعلن من قبل فى ذلك اليوم : «إنها ليست حربًا بين الولايات المتحدة والإرهاب، وإنما هى حرب بين العالم الحُرّ الديمقراطى وبين الإرهاب، لذلك نحن هنا فى بريطانيا نقف جنبًا إلى جنب مع أصدقائنا الأمريكيين». لقد أكد على هذه الوحدة فى الثانى عشر من سبتمبر بعد محادثاته مع «العديد من زعماء العالم» :

«نتفق على أن هذا الهجوم ليس هجومًا على الولايات المتحدة وحدها، وإنما هو هجوم على العالم أجمع، وهذا يتطلب منا استنكاراً جماعيًّا تامًّا، إصراراً على تقديم الجُناة للعدالة، وأيضًا دعم الشعب الأمريكى فى الشدائد».

بعد أن سأل «بوش» شعبه التوحُّد والالتزام بالواجبات، نجد حديثه بعد ذلك يُقرٌّ بدوره كقائد فى المسئولية :

«سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا : جميع السُبل الدبلوماسية، وجميع أدوات دوائر الاستخبارات، وجميع وسائل تنفيذ القانون، وكل تأثير مالى، وكل سلاح ضرورى للحرب؛ لتمزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها».

طبقًا للأسلوب التعليمى فى التعبير، نجد هذا الخطاب مُفْعمًا بالواقعية والثقة ، إنه يصف – على نحو واقعى – نوعًا جديداً من الحرب، حربًا يمكن أن تؤدى إلى فَقد الأرواح :

«لن تكون هذه الحرب مثل حربنا ضد العراق منذ عقدٍ مضى، التى كان

هدفها تحرير الأرض كاملة، والحصول على نتيجة سريعة. لن تكون هذه الحرب مثل حربنا الجوية فى «كوسوفو» منذ عامين حيث لم تُستخدم أية قوات برية، ولم نفقد روحًا أمريكية واحدة فى هذه المعركة. سيشمل ردنا على هذه المأساة أكثر بكثير من مُجرد الأخذ بالثأر أو القيام بهجمات عسكرية مُنفصلة. يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حربًا واحدة، وإنما حملة ممتدة لم يشهدوا مثلها من قبل، يمكن أن تتضمن هذه الحملة هجمات عسكرية مفاجئة - مرئية على شاشة التليفزيون - وعمليات سرية تتم فى الخفاء، وستكون سرية حتى فيما تحققه من نجاح».

هناك تيقن من نتيجة الحرب دون النظر إلى مسارها، وعلى الرغم من أن «مضمار هذا الصراع غير معلوم ... إلا أن نتيجته مؤكدة».

نجد فى هذا الخطاب - كما فى الخطابات السابقة - أن الرئيس قد استخدم المُقابلة ليوضح وجهة نظره :

«لدى كل دولة الآن - فى جميع الأقطار - قرار لتتخذه: إما أن تكونوا معنا، أو مع الإرهاب».

«لطالما كانت الحرية والخوف، العدل والوحشية فى صراعٍ دائم، ولكننا على علمٍ بأن الرب لا يسوِّى بينهما».

يُعلن هذا الخطاب فى العديد من الأوجه نوعًا جديداً من الحروب - يطالب الشعب بالالتزام التام بما عليه من واجبات - تُشبه كثيراً الحرب الخطابية المعروفة التى تم توثيقها منذ بدء قيام الجمهورية. سيُطلعنا إدراكنا لطبيعة الحادثة على درجة مُطابقة خطاب الرئيس للخاصية الخامسة التى تتميز بها الخطابة الرئاسية عن الحرب، التى أشار إليها كل من كامبل وچيميسون، فهو يبرز التشويه الاستراتيجى للحقائق، مع عدم وجود هجومٍ واضح. إن استخدام

مصطلح «تشويه الحقائق» ما هو إلا محاولة منهما للإمساك بزمام السياق الخاص للخطابة الرئاسية عن الحرب.

بتولى الرئيس دور القائد المسئول فى وقت الحرب، فإنه يمارس سلطات استثنائية لا يتم منحها بسهولة إلا فى دولة ديمقراطية وفى جوٍّ من الاتفاق الجماعى القوى فى الرأى. ستنقل - بالضرورة - الخطابات التى تقصد التقليل من نسبة المعارضة وبناء الوحدة معلومات على نحو انتقائى يرضى عنه الشعب، من خلال تقوية المعنى على الأقل. إن ما يجعل هذه الانتقائية مُحتملة هى حقيقة أن الرئيس هو الشخص الوحيد الذى لديه حرية الوصول إلى المعلومات التى سيحدد من خلالها ما إذا كان سيقوم بعملٍ عسكرى أم لا.

يؤكد كل من «كامبل و چيميسون» أن تشويه الحقائق غالبًا ما يأتى فى صورة إغفال أو حذف بعض الأشياء، فنجد فى خطاب الرئيس مثلاً أن الشكوى الوحيدة التى ذكرها بشأن تنظيم القاعدة جاءت فى صورة الإجابة التالية: «إنهم يكرهون حريتنا» على السؤال: «لماذا يكرهوننا؟». لقد تجاوزت مشاعر الاستياء التى أيدت تطويع أفراد تنظيم القاعدة واستقطابهم ذلك، وسنجد فى الأسابيع المقبلة تفسيرات وأبحاثًا أكثر عمقًا بشأن هذه الأعمال الإرهابية، ولكن لم تكن تلك هى المهمة الخطابية المطلوبة آنئذٍ. (سنجد فى الفصل السادس من هذا الكتاب أن البعض ممن اعترضوا على تلك التشويهات الاستراتيجية للحقائق قد تم شجب اعتراضاتهم بشدة فى العديد من المطبوعات).

يُعَدُّ تصوير تنظيم القاعدة مثيرًا للشك والخلاف، مثله مثل وصف مساوئه: «إن هدف هذا التنظيم .... هو فرض آراء أعضائه المتطرفة على الناس فى كل مكان». يُعد هذا تبسيطًا للرؤية الرئاسية.

فى النهاية، يجب أن نلاحظ أن القصف الوشيك لأفغانستان لا يمكن

تبريره إلا من خلال رَبط طالبان بالقاعدة: « شاهدنا فى أفغانستان رؤية تنظيم القاعدة للعالم »، ويعد هذا تشويهًا للحقائق مثيراً للجدل والنقاش.

لو أنَّ الخسائر البشرية فى هجمات الولايات المتحدة الجوية كانت أكثر من ذلك، لكان هذا الربط بين طالبان والقاعدة سيتم إظهاره بصورة مُغالى فيها فى الأيام والأسابيع التى تلت هذه الهجمات. إلا أنه – فى البداية – لم يتم الإبلاغ إلا عن القليل من الخسائر (الإصابات) البشرية، كما لم يَأْسَ على الضرر الذى أُلحق بطالبان إلا القليل من الأمريكيين.

هناك إغفالات أخرى محتملة، فلم تذكر خطابات الرئيس بشكل مفصَّل –مثلاً – السبب الذى أدى إلى أن تصبح الحرب هى الرد الحتمى على الإرهاب، كما أنها لم تُناقش العواقب الأخرى التى ستنجم عن الحرب وتوسع القوة العسكرية الأمريكية.

تأتى اللحظة الخطابية الأخيرة والحاسمة فى عملية شن الحرب ضد الإرهاب، فى السابع من أكتوبر حينما خاطب الرئيس « بوش » الشعب الأمريكى من حجرة توقيع المعاهدات بالبيت الأبيض مُعلنًا عمليات القصف فى أفغانستان. لقد بدأ خطابه قائلاً:

« تنفيذاً للأوامر الصادرة من جانبى، بدأت العسكرية الأمريكية شن هجماتها ضد معسكرات تدريب الإرهابيين من أعضاء تنظيم القاعدة والقواعد الحربية لحكومة طالبان بأفغانستان ».

إنها المرة الأولى منذ خمسين عامًا التى تردُّ فيها الولايات المتحدة على هجوم شُن على أراضيها. إذا ما قارنَّا خطابات الرئيس « بوش » بالخطاب الذى ألقاه الرئيس الأمريكى السابق « روزفلت » فى ذلك اليوم الشهير الذى أطلق

سميه « يوم الفضيحة والعار » وما تبعه من حديث مُتَّقد في اليوم التالي، سيتضح لنا أنه لا يمكن إقناع الشعوب بفكرة الحرب من خلال خطابٍ واحدٍ فقط، وإنما نجد الجهود التي يبذلها الرؤساء الأمريكيون لإقناع شعوبهم مستمرة في تقدمها. ربما تكون الحرب ضد الإرهاب طريقًا لم يسلكه أحد من الناحية الفعلية، أمَّا من الناحية الخطابية فقد سلكه الكثيرون.

سنختم هذا الفصل بعقد مقارنة بين خطاب الرئيس الأمريكي السابق يوم الهجوم الشهير على « بيرل هاربر » وبين خطاب الرئيس « بوش » في الحادي عشر من سبتمبر. وطبقًا للأعراف الخطابية سنجد الرئيسين قد مُنحا سلطات استثنائية باعتبارهما القائدين المسئولين، سنجد محاولات للتقليل من نسبة المعارضة، الحط من قدر الأعداء وتشويه سُمعَتهم، كما سنلقى فقداً كبيراً للأرواح دفاعًا عن أمةٍ متحدة تحت رعاية الله. يُعد الابتهال إلى الله بالصلاة من الأساليب التقليدية المُتبعة في اختتام الخطابات الرئاسية، يمكن أن نضيف هذه الخاصية كخاصية سادسة مميزة للغة الخطابية الأمريكية عن الحرب. سنبحث في الدور الذي تلعبه الصلاة في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٨/ ١٢/ ١٩٤١ : سيعيش يوم السابع من ديسمبر لعام ١٩٤١ في ذاكرتنا كيوم للفضيحة والعار، لقد شُن في هذا اليوم هجوم مفاجئ ومدروس (متعمد) على الولايات المتحدة الأمريكية.

١١/ ٩/ ٢٠٠١ : أعزائي المواطنين، لقد تعرضت حريتنا اليوم للهجوم من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة.

٩/ ١٢/ ١٩٤١ : لقد قُتل العديد من الجنود والبحارة الأمريكيين بفعل العدو. أغرقت السفن الأمريكية؛ دمرت الطائرات الأمريكية كذلك.

١١/٩/٢٠٠١ : لقد كان الضحايا فى الطائرات، أو فى وظائفهم؛ سكرتارية، رجالَ وسيداتِ أعمالٍ، موظفين فيدراليين وعسكريين؛ آباء وأمهاتٍ، أصدقاءً وجيرانًا.

٩/١٢/١٩٤١ : لقد اتحد هؤلاء القتلة الجبارون لشن حرب على الجنس البشرى بأكمله.

٢٠/٩/٢٠٠١ : ما القاعدة إلا كالمافيا فى ما ترتكبه من أعمال إرهابية وإجرامية، ولكن هدفها لا ينصَبُّ على كسب المال، وإنما على إعادة تشكيل العالم، وفرض آرائها المتطرفة على الناس فى كل مكان.

٩/٩/١٩٤١ : لا يوجد ما تعتز به أية أمة - أو أى فرد - مثل أمنها، فى عالم تحكمه قوانين القتلة.

٧/١٠/٢٠٠١ : لا يمكن أن يكون هناك سلام فى عالمٍ يحكمه الإرهاب.

٩/٩/١٩٤١ : نحن الآن فى غمرة الحرب، إنها ليست حربًا من أجل الانتقام أو الاستيلاء على أراضٍ غير أراضينا، وإنما هى حرب من أجل عالم تحيا فيه أمتنا، وسيظل كل ما تمثله هذه الأمة وهذا الشعب آمنًا من أجل أطفالنا.

٢٠/٩/٢٠٠١ : يعتمد تقدم الحرية الإنسانية - التى تعد أعظم إنجاز فى عصرنا وأعظم أمل فى كل العصور - علينا الآن. سترفع أمتنا ، بل هذا الجيل، ذلك التهديد الأعمى الوحشى عن شعبنا ومستقبلنا.

٧/١٢/١٩٤١ : باعتبارى القائد المسئول عن الجيش والبحرية الأمريكية؛ فقد أصدرت أوامرى باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للدفاع عن دولتنا.

٢٠ / ٩ / ٢٠٠١ : سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا : جميع السبل الدبلوماسية، وجميع أدوات دوائر الاستخبارات، وجميع وسائل تنفيذ القانون، وكل تأثير مالى، وكل الأسلحة اللازمة لخوض الحرب ، لتمزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها.

٨ / ١٢ / ١٩٤١ : لن تكون حربًا طويلة، وإنما ستكون حربًا شاقة.

٢٠ / ٩ / ٢٠٠١ : يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حربًا واحدة، وإنما حملة طويلة لم يشهدوا مثلها من قبل.

٩ / ١٢ / ٢٠٠١ : سنعرف أن الأغلبية العظمى من أعضاء الجنس البشرى تقف إلى جانبنا. يقاتل الكثيرون منهم إلى جانبنا.

٢٠ / ٩ / ٢٠٠١ : يهرع العالم المتحضر لنُصرة الجانب الأمريكى.

٨ / ١٢ / ١٩٤١ : حتمًا سننتصر فى هذه الحرب؛ ثقة فى قواتنا المسلحة وعزيمتنا غير المتناهية. لذلك فليساعدنا الرب.

٧ / ١٠ / ٢٠٠١ : لن نتزعزع؛ لن نكلّ؛ لن نتداعى؛ ولن نفشل. سيسود السلام والحرية. فلندعُ الرب أن يُبارك الولايات المتحدة.

ملحق الترجمة

(١) تعليقات الرئيس بعد اصطدام طائرتين بمركز التجارة العالمى، مدرسة «إيما بوكر» الابتدائية ، ساراسوتا، ولاية فلوريدا

١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، التاسعة والنصف صباحًا

الرئيس : سيداتى وسادتى، إنها لحظة عصيبة تمر بها الولايات المتحدة. سأعود – للأسف – إلى واشنطن بعد إلقاء هذا البيان. سيتناول الوزير « ريدج » وحاكم الولاية المناقشات بشأن التعليم. أريد أن أتوجه بخالص الشكر إلى جميع من فى مدرسة « بوكر » الابتدائية لحُسن وفادتهم.

لقد شَهدنا اليوم مأساة قومية. اصطدمت طائرتان بمركز التجارة العالمى فى هجوم إرهابى صريح على بلادنا. لقد تحدثت إلى نائب الرئيس، وحاكم ولاية نيويورك ورئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية، كما سَخَّرْتُ جميع موارد الحكومة الفيدرالية لمساعدة الضحايا وأسرهم، وأيضًا للقيام بإجراء تحقيقات شاملة تهدف إلى التفتيش عن مرتكبى هذه الجريمة ومطاردتهم أينما وُجِدوا.

لن يستمر الإرهاب ضد أمتنا.

والآن لنتوحد فى لحظة من الهدوء والسكينة مبتهلين إلى الله أن يُبارك الضحايا وأسرهم والولايات المتحدة، شكرًا جزيلاً.

(٢) تعليقات الرئيس لدى وصوله إلى قاعدة «باركسديل» الجوية

لويزيانا، ١١سبتمبر ٢٠٠١.

الرئيس : أريد أن أُطَمْئِنَ الشعب الأمريكى إلى أن جميع موارد الحكومة الفيدرالية تعمل من أجل مساعدة السلطات المحلية فى إنقاذ الأرواح ومساعدة

ضحايا تلك الهجمات أيضًا. لن نرتكب خطأ: ستقوم الولايات المتحدة بتعقب المسئولين عن هذه الجرائم – التى تتسم بالجُبْن والوضاعة – ومعاقبتهم.

إننى على اتصال مُنتظم بنائب الرئيس، ووزير الدفاع، وفريق الأمن القومى، ومجلس الوزراء. لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لحماية الشعب الأمريكى. إن عسكريتنا الأمريكية – فى الوطن أو حول العالم – على أهبة الاستعداد، لقد اتخذنا جميع الاحتياطات الأمنية اللازمة لمواصلة حكومتكم أداء مهامها.

إننا على اتصال بزعماء الكونجرس، وزعماء العالم؛ كى نؤكد لهم أننا سنفعل كل ما يلزم لحماية أمريكا والأمريكيين.

أريد من الشعب الأمريكى أن ينضم إلىَّ فى التوجه بالشكر إلى جميع من كافح لإنقاذ مواطنينا، وأن تنضموا إلىّ أيضًا فى الصلاة من أجل الضحايا وأسرهم. إن صدق عزيمة شعبنا العظيم يخضع الآن للاختبار، ولكننا لن نرتكب خطأ، سنُظهر للعالم أجمع أننا قادرون على اجتياز هذا الاختبار، وليباركنا الرب.

(٣) بيان الرئيس فى خطابه للأمة

١١ سبتمبر ٢٠٠١، الثامنة والنصف مساء

● الرئيس: عمتم مساء، مواطنينا الأعزاء، لقد تعرض اليوم مجرى حياتنا وحريتنا للهجوم، من خلال سلسلة من الأعمال الإرهابية المتطرفة المدروسة، لقد كان الضحايا فى الطائرات، أو فى وظائفهم: سكرتارية، رجالَ وسيدات أعمالٍ، موظفين فيدراليين وعسكريين، آباءً وأمهاتٍ، أصدقاءَ وجيرانًا، لقد سلبت تلك الأعمال الإرهابية الآثمة – والتى تستحق الازدراء – آلاف الأرواح بشكل مفاجئ.

لقد زعزعت صور الطائرات وهى تخترق البنايات – الحرائق المشتعلة وانهيار البنايات الضخمة – إيماننا ،كما ملأتنا بحزنٍ مريع وغضب شديد . لقد قَصَدَتْ أعمال القتل الجماعى تلك إلى تخويف (إرهاب) أمتنا وجعلها فى حالة فوضى واستسلام، ولكنها فشلت فى تحقيق هدفها؛ لأن بلادنا صلبة وقوية، لقد تم تحريك شعب عظيم من أجل الدفاع عن أمة عظيمة، إن الهجمات الإرهابية قادرة على زعزعة أسس أكبر منشآتنا، ولكنها غير قادرة على أن تمس الأساس الأمريكى، إن هذه الهجمات قادرة على أن تُحطم الفولاذ ولكنها غير قادرة على التأثير فى صلابة العزيمة الأمريكية .

لقد اسْتُهْدِفَتْ الولايات المتحدة لأنها هى منارة الحرية والفرص المتوفرة، وهى الأكثر تألقًا على مستوى العالم، لن يمنع أحد ذلك الضوء من السطوع . لقد شهد شعبنا اليوم شرًّا عظيمًا هو أسوأ ما تتسم به الطبيعة البشرية، لذلك سارعنا بتقديم أفضل شيئين تتميز بهما الولايات المتحدة ألا وهما : جسارة عمال الإنقاذ ، والعناية بالغرباء، والجيران الذين أتوا للتبرع بدمائهم وأيضًا للمساعدة بأية وسيلة يرون أنهم قادرون عليها .

فور انتهاء الهجوم الأول، قمت بتنفيذ العديد من الخطط التى وضعتها حكومتنا استجابة لتلك الحادثة الطارئة، إن العسكرية الأمريكية قوية ومُعَدَّة، تعمل فرق الإنقاذ فى مدينتى «نيويورك و واشنطن» من أجل تدعيم مجهودات الإنقاذ المحلية .

تنصَبُّ أولى اهتماماتنا فى مساعدة الجرحى، وفى اتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة لحماية مواطنينا فى داخل وطنهم وحول العالم من أية هجمات قادمة . ستستأنف حكومتنا أداء مهامها دون توقف . ستفتح الوكالات الفيدرالية فى واشنطن – والتى كان من المفترض أن يتم إخلاؤها اليوم – أبوابها

ثانية لأفراد بعينهم ،كما سيستأنف العمل بها فى الغد . لا زالت مؤسساتنا المالية قوية، وسيظل الاقتصاد الأمريكى فاتحًا أبوابه أمام المشروعات التجارية .

لا زال البحث جاريًا عن مقترفى هذه الأعمال الآثمة، لقد وجهت جميع الموارد الخاصة بدوائر الاستخبارات والدوائر المختصة بتنفيذ القانون فى طريق واحد، هو إيجاد الجناة وتقديمهم للعدالة . لن نفرق بين الإرهابيين الذين ارتكبوا هذه الأفعال وبين الأشخاص الذين يقومون بإيوائهم والتستر عليهم . أُكِنُّ كل تقدير لأعضاء الكونجرس الذين انضموا إلىَّ فى استنكار هذه الهجمات بشدة . ونيابة عن الشعب الأمريكى، أتوجه بالشكر إلى زعماء العالم الذين سارعوا بالاتصال لتقديم العون والعزاء .

تتحد الولايات المتحدة وأصدقاؤها وحلفاؤها مع جميع من يريد الأمن والسلام، وسنقف معًا من أجل الانتصار فى حربنا ضد الإرهاب . أطلب منكم الليلة أن تُصَلُّوا من أجل كل من شعروا بالحزن، من أجل الأطفال الذين تم تحطيم عالمهم، من أجل كل مَنْ شعروا أن أمنهم وأمانهم مهدد، كما أدعو أن تواسيَهم وتساعدهم قوة أعظم منا جميعًا تتمثل فيما قيل – فى المزمور الثالث والعشرين – عبر العصور : « وإن كنت أسير فى وادى ظلمة الموت، إلا أننى لا أخشى شيئًا، لأنك (الرب) معى » .

إنه يوم يتحد فيه جميع الأمريكيين من مجالات الحياة المختلفة، فى إصرارهم وعزيمتهم من أسجل تحقيق العدل والسلام، لقد قاومت الولايات المتحدة أعداءها من قبل، وستفعل ذلك هذه المرة . لن ينسى أى منا هذا اليوم أبداً، ومع ذلك سنتقدم من أجل الدفاع عن الحرية، وكل ما هو صالح وعادل فى عالمنا .

أشكركم، تُصبحون على خير، وليبارك الرب أمريكا .

(٤) خطاب الرئيس فى الجلسة المنعقدة بمبنى الكونجرس الأمريكى بواشنطن والتى خاطب فيها أعضاء الكونجرس والشعب الأمريكى

٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ ، التاسعة مساء

● الرئيس : سيدى رئيس المجلس ، سيدى الرئيس « بروتيمبور »، أعضاء الكونجرس الأمريكيين الأعزاء :

فى الظروف العادية ، يأتى الرؤساء إلى هذا المجلس لتقديم تقارير بشأن حال الوحدة فى البلاد، ولكننا الليلة لن نحتاج إلى تقديم تلك التقارير، لقد نقلها الشعب الأمريكى بالفعل.

لقد رأينا تلك الوحدة فى شجاعة ركاب الطائرات المختطَفَة، الذين هاجموا الإرهابيين لإنقاذ الآخرين على الأرض ، رُكاب مثل ذلك الرجل الرائع « تود بيمر »، اسمحوا لى أن أرحب بزوجته « ليزا بيمر » الحاضرة معنا الليلة . (تصفيق) .

لقد رأينا حال وحدتنا فى جَلَدِ وثباتِ فرق الإنقاذ فى ما تقوم به من أعمال منهكة للغاية، لقد رأينا الأعلام المنتشرة فى كل مكان، الشموع المشتعلة، الدماء المتبرع بها، والصلوات سواء المنطوقة بالإنجليزية، العبرية أو العربية، لقد رأينا لياقة من شعوب محبة ومعطاءة جعلت الحُزن الذى يشعر به للغرباء وكأنه حزنها.

مواطنينا الأعزاء، لقد رأى العالم بنفسه فى الأيام التسعة الماضية حال وحدتنا ، وإنها لقوية . (تصفيق) .

الليلة نحن دولة صَحَتْ على خطر كبير ونوديت للدفاع عن الحرية . لقد تحولت مشاعر الحزن إلى غضب، وتحول ذلك الغضب إلى ثبات وإصرار فى العزيمة . سيتم إقرار العدل، سواء قمنا بتقديم أعدائنا إلى العدالة أو أحضرنا العدالة إليهم . (تصفيق)

أتوجه إلى الكونجرس بالشكر على قيادته فى هذا الوقت الحرج. لقد تأثر الشعب الأمريكى مساء هذه المأساة عندما رأى الجمهوريين والديمقراطيين يسارعون إلى الانضمام لبعضهم البعض على درجات سُلّم هذا المبنى، منشدين «ليبارك الرب أمريكا». لقد فعلتم ما هو أكثر من الغناء؛ لقد أحدثتم أثراً بالفعل، وذلك بتقديمكم أربعين بليون دولار أمريكى لإعادة بناء مجتمعاتنا والوفاء بمتطلبات العسكرية الأمريكية.

رئيس المجلس «Hastert»، زعيم الأقلية «Gephardt»، زعيم الأغلبية «Daschle»، والسناتور «Lott» : أشكركم لصدقكم، قيادتكم وخدمتكم لبلادنا. (تصفيق)

ونيابة عن الشعب الأمريكى، أتوجه بالشكر إلى العالم على تأييده ودعمه المتدفق لنا. لن ننسى أبداً موسيقى النشيد الوطنى الأمريكى وهى تعزف فى قصر «باكنجهام» فى شوارع باريس، وعندم مدخل «براندينبرج» ببرلين.

لن ننسى الأطفال فى كوريا الجنوبية وهم مجتمعون للصلاة خارج سفارتنا الأمريكية فى «سيول»، أو الصلاة التى أقيمت بأحد المساجد بالقاهرة، والتى تنم عن تعاطف كبير ومشاركة وجدانية، لن ننسى لحظات السكون وأيام الحزن والحداد فى أستراليا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

لن ننسى أيضاً مواطنى ثمانين دولة أخرى ممن لقوا حتفهم مع مواطنينا: الكثير من الباكستانيين؛ أكثر من (١٣٠) إسرائيلياً؛ أكثر من (٢٥٠) مواطناً هندياً، رجال ونساء من: السلفادور، وإيران، والمكسيك، واليابان؛ ومئات المواطنين البريطانيين، ليس لدى الولايات المتحدة صديق حقيقى سوى بريطانيا العظمى (تصفيق)، حيث تربطنا صلة قوية. لقد تميز رئيس الوزراء البريطانى متفضلا محيطاً ليظهر وحدة أهدافه مع أهداف الولايات المتحدة. شكراً على قدومك أيها الصديق. (تصفيق)

فى الحادى عشر من سبتمبر، ارتكب أعداء الحرية عملاً حربيًا ضد بلادنا، لقد عرف الأمريكيون الحروب، ولكن لمائة وستة وثلاثين عامًا مضت كانت تلك الحروب ضد بلادٍ أجنبية، فيما عدا تلك الحرب التى شنت ضد الولايات المتحدة فى شهر ديسمبر فى عام ١٩٤١. لقد عرف الأمريكيون الويلات والكوارث التى تسببها الحروب، ولكنها ليست كتلك الكارثة التى حدثت فى صدر أعظم مدينة فى صباح هادئ. لقد عرف الأمريكيون الهجمات المفاجئة، ولكنها لم تكن كتلك التى استهدفت آلاف المدنيين. لقد تعرضنا لكل هذا فى يوم واحد. لقد هبط الليل فى ذلك اليوم على عالم مختلف، عالم تعرضت فيه الحرية ذاتها للهجوم.

يطرح الأمريكيون الليلة العديد من التساؤلات، إنهم يتساءلون: مَنْ هاجم بلادنا؟ تُشير كل الدلائل التى قمنا بجمعها إلى أن هناك مجموعة من التنظيمات الإرهابية تُعرف باسم «القاعدة». إن أعضاء هذه التنظيمات هم نفس القتلة الذين اتهموا بتفجير السفارتين الأمريكيتين فى تنزانيا وكينيا، والمسئولون عن قصف USS Cole.

ما القاعدة إلا كالمافيا فى ما ترتكبه من أعمال إرهابية وإجرامية، ولكن هدفها لا ينصب على كسب المال، وإنما على إعادة تشكيل العالم، وفرض آرائها المتطرفة على الناس فى كل مكان.

يمارس هؤلاء الإرهابيون شكلاً متطرفًا من أشكال التطرفية الإسلامية التى ينبذها علماء المسلمين والأغلبية العُظمى من رجال الدين الإسلامى. إنها حركة لجماعة ذات آراء متطرفة تحرف تعاليم الدين الإسلامى السمحة. إن التوجيهات الصادرة إلى هؤلاء الإرهابيين تأمرهم بقتل المسيحيين واليهود، وقتل جميع الأمريكيين، وعدم التفرقة بين العسكريين والمدنيين بما فى ذلك النساء والأطفال.

تتصل هذه الجماعة – وقائدها شخص يُدعى « أسامة بن لادن » – بالعديد من التنظيمات الأخرى فى دول متعددة، مثل حركة الجهاد الإسلامية فى مصر، والحركة الإسلامية فى « أزبكستان »، هناك الآلاف من هؤلاء الإرهابيين فى أكثر من ستين دولة، لقد تم تجنيدهم وأخذهم من مواطنهم وإرسالهم إلى معسكرات فى مناطق مثل أفغانستان، لتدريبهم على فنون الحرب والإرهاب، ثم يتم إرسالهم إلى أوطانهم أو إلى العديد من الدول عبر العالم للاختباء ووضع الخطط التخريبية الشريرة.

لقيادة تنظيم القاعدة تأثير كبير فى أفغانستان، كما أنها تساند حكومة طالبان فى السيطرة على أغلب المناطق فى هذه الدولة. فى أفغانستان، شاهدنا رؤية تنظيم القاعدة للعالم.

لقد جُرِّد الشعب الأفغانى من إنسانيته، يموت الكثيرون منهم جوعًا أو يهربون، لا يُسمح للنساء بالذهاب إلى المدارس، يمكن أن تُسجن لامتلاكك تليفزيونًا، لا يمكن ممارسة أية تعاليم دينية إلا تلك التى يُمليها عليهم زعماؤهم، يمكن أن يُسجن الرجل فى أفغانستان لأن لحيته ليست طويلة بدرجة كافية. إن الولايات المتحدة تحترم الشعب الأفغانى، كما أنها تُعد من أكبر مصادر المساعدات الإنسانية الحالية بالنسبة للشعب الأفغانى، ولكنها تدين حكومة طالبان. (تصفيق).

إنها حكومة لا تقمع شعبها فحسب، ولكنها تهدد الشعوب فى كل مكان، وذلك بإيوائها للإرهابيين، التستر عليهم ودعمهم. بمساعدتها وتحريضها على القتل، ترتكب حكومة طالبان جريمة قتل مع سبق الإصرار.

أما المطالب التى ستمليها الولايات المتحدة الأمريكية الليلة على حكومة

طالبان فهى كالتالى: سلموا جميع قادة تنظيم القاعدة الذين يختبئون فى بلادكم إلى السلطات الأمريكية. (تصفيق) أطلقوا سراح جميع المواطنين الأجانب - بما فيهم المواطنون الأمريكيون - الذين قمتم بسجنهم جوراً وظلماً، قوموا بحماية رجال الصحافة الأجانب والدبلوماسيين، ورجال المساعدات الخاصة الموجودين فى بلادكم، أغلقوا جميع المعسكرات التدريبية للإرهابيين فى أفغانستان فوراً وبصورة دائمة، سلموا جميع الإرهابيين وكل شخص يساندهم إلى السلطات المختصة. (تصفيق) أعطوا الولايات المتحدة مطلق الحرية فى الوصول إلى معسكرات الإرهابيين التدريبية كى تتأكد أنهم توقفوا عن القيام بأية عمليات.

ليست هذه المطالب موضع نقاش أو مفاوضة. (تصفيق) يجب أن تتصرف حكومة طالبان، وأن تتصرف على الفور: إما أن يسلموا الإرهابيين، وإما سيشاركونهم فى المصير الذى سيلقونه.

أريد الليلة أيضًا أن أتحدث إلى المسلمين عبر العالم بصورة مباشرة، إننا نحترم دينكم، إنه يمارَس بحرية من قِبَل ملايين الأمريكيين، وملايين آخرين فى أكثر الدول التى تعدها الولايات المتحدة صديقة لها. إن تعاليم الدين الإسلامى تدعو إلى الخير والسلام، أما مَنْ تُسوِّل لهم أنفسهم ارتكاب آثام تحت ستار الدين وباسم الله، فإنهم بذلك يكفرون باسم الله. (تصفيق) يُعد هؤلاء الإرهابيون خائنين لدينهم، يحاولون - فى الحقيقة - سلب الدين الإسلامى ذاته. إن أعداءنا ليسوا أصدقاءنا العديدين من المسلمين، ليسوا أصدقاءنا من العرب. لدينا عدو واحد هو: تلك الشبكة الإرهابية المتطرفة، وكل حكومة تقوم بدعمها. (تصفيق).

ستبدأ حربنا ضد الإرهاب بتنظيم القاعدة، ولكنها لن تنتهى عند هذا الحد، لن تنتهى حتى يتم العثور على كل الجماعات الإرهابية ذات الصلات العالمية، وإيقافها وقهرها. (تصفيق)

يتساءل الأمريكيون : لماذا يكرهوننا ؟ إنهم يكرهون ما نراه نحن ها هنا فى هذا المجلس : حكومة منتخبة على نحو ديمقراطى. إن زعماءهم يعينون أنفسهم بأنفسهم. إنهم يكرهون حرياتنا : حريتنا الدينية، حريتنا فى التعبير، حريتنا فى التصويت، واتفاق أو اختلاف كل منا مع الآخر. إنهم يريدون الإطاحة بالحكومات الحالية فى العديد من الدول الإسلامية كمصر، والمملكة العربية السعودية، والأردن. إنهم يريدون أن يجبروا إسرائيل على الرحيل من منطقة الشرق الأوسط، إنهم يريدون أن يُخرجوا المسيحيين واليهود من المناطق الشاسعة بآسيا وإفريقيا. لا يقتل هؤلاء الإرهابيون لإنهاء الأرواح فحسب، ولكنهم يهدفون إلى إيقاع الفوضى فى البلاد وإنهاء مجرى الحياة التى نحياها، إنهم – بكل ما لديهم من وحشية – يأملون فى أن تزداد الولايات المتحدة خوفًا وتنعزل عن العالم، إنهم يقفون ضدنا، لأننا نقف فى طريقهم.

لن ننخدع بادعائهم التقوى. لقد رأينا أمثالهم من قبل، إنهم ورثة جميع الأيديولوجيات القاتلة والفتاكة للقرن العشرين، إنهم بتضحيتهم بالروح الإنسانية لخدمة آرائهم المتطرفة – بتخليهم عن جميع القيم إلا تلك التى تعبر عن الرغبة فى السلطة – يسلكون طريق الفاشية[١]، والشمولية[٢]. إنهم دائمًا

---

(١) نظام أو حركة سياسية تمجد الدولة والعرق وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطى مركزى على رأسه زعيم دكتاتورى وإلى السيطرة على شكل من أشكال النشاط القومى.

(٢) نظام سياسى استبدادى مبنى على إخضاع الفرد للدولة وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر الحياة وطاقاتها المنتجة.

ما يسلكون هذا الطريق، ولكن أين سينتهى هذا الطريق؟ سينتهى فى مقبرة التاريخ المجهولة المفعمة بالأكاذيب المنبوذة . (تصفيق) .

يتساءل الأمريكيون : كيف سنقاومهم وننتصر فى هذه الحرب ؟ سنجعل جميع موارد الدولة تحت قيادتنا : جميع الطرق الدبلوماسية، وكل أداة لدى دوائر الاستخبارات، وكل وسيلة لتنفيذ القانون، وكل تأثير مالى، وكل سلاح ضرورى للحرب ؛ لتمزيق هذه الشبكة الإرهابية العالمية وهزيمتها .

لن تكون هذه الحرب مثل حربنا ضد العراق منذ عقد مضى، التى كان هدفها تحرير الأرض كاملة والحصول على نتيجة سريعة . لن تكون هذه الحرب مثل حربنا الجوية فى (كوسوفو) قبل عامين، حيث لم تستخدم أية قوات برية ولم نفقد روحًا أمريكية واحدة فى هذه المعركة .

سيشمل رد فعلنا على هذه المأساة أكثر بكثير من مجرد الأخذ بالثأر، أو القيام بهجمات عسكرية منفصلة . يجب على الأمريكيين ألا يتوقعوا حربًا واحدة، وإنما حملة ممتدة لم يشهدوا مثلها من قبل، يمكن أن تتضمن هذه الحملة هجمات عسكرية مفاجئة – مرئية على شاشة التليفزيون – وعمليات سرية تتم فى الخفاء، وستكون سرية حتى فيما تحققه من نجاح . سنحرم الإرهابيين من ذلك التمويل الذى يمولون به، سنقلب كلاً منهم ضد الآخر، سنقودهم من مكان إلى آخر حتى لا يجدوا ملجأ يلجأون إليه أو راحة يشعرون بها، وسنتعقب الدول التى تمد الإرهابيين بالعون أو توفر لهم المكان الآمن . لدى كل دولة الآن قرار لتتخذه : إما أن تكونوا معنا ، أو مع الإرهاب . (تصفيق) . من اليوم فصاعداً ستعتبر الولايات المتحدة أية دولة تواصل دعمها وإيواءها للإرهابيين حكومة معادية لها .

لقد وُضِعَتْ أمتنا تحت الملاحظة : نحن غير معفين من أى هجوم ضدنا .

سنتخذ الإجراءات الدفاعية لحماية الأمريكيين من أى عمل إرهابى. لدى الكثير من الوكالات والإدارات الفيدرالية اليوم – وكذلك الحكومات المحلية – مسئوليات تمس الأمن الوطنى. يجب أن يتم تنسيق هذه الجهود على أعلى مستوى. لهذا، أود أن أعلن الليلة أن الحكومة الأمريكية ستعهد بوظيفة جديدة على مستوى مجلس الوزراء إلى أحد الرجال الموثوق بهم، وسيتم رفع أية تقارير بشأنها إلىَّ مباشرةً، وهى وظيفة متعلقة بالأمن القومى.

وأود أيضًا أن أعلن أن من سيقود هذه المجهودات لتقوية الأمن الأمريكى هو أمريكى بارز، عسكرى محنك، حاكم قوى، وطنى حقيقى، وصديق موثوق به. إنه «توم ريدچ». (تصفيق) سيقوم «ريدچ» بالقيادة والتنسيق والإشراف على خطة قومية شاملة لحماية بلادنا ضد أى عدوان إرهابى، وللرد على أية هجمات أخرى مُحتملة. (توم ريدچ هو حاكم بنسلڤانيا).

تُعَدُّ هذه الإجراءات ضرورية؛ لأن الطريقة الوحيدة للقضاء على الإرهاب باعتباره من الأشياء التى تهدد مجرى حياتنا، تتمثل فى إيقافه وتدميره أينما وُجد ونَمَا. (تصفيق)

سيشارك الكثيرون فى هذه الجهود، من العاملين بمكتب التحقيقات الفيدرالى، إلى رجال المباحث بدوائر الاستخبارات، وحتى جنود الاحتياط الذين قمنا باستدعائهم لأداء مهامهم. يستحق جميعهم شكرنا ودعواتنا.

والليلة، وعلى بعد أميال قليلة من البنتاجون، أود أن أنقل رسالة إلى قواتنا العسكرية : تأهبوا. لقد دعوت قواتنا المسلحة إلى التأهب أيضًا، ولكن هناك سبب لذلك. ستأتى اللحظة التى تقوم فيها الولايات المتحدة بعمل حقيقى، وستجعلوننا نفخر بكم. (تصفيق).

إنها ليست معركة أمريكا وحدها. ليست حرية أمريكا وحدها هي التي تواجه خطراً، إنها معركة العالم أجمع، إنها معركة الحضارة، إنها معركة كل من يؤمنون بالتقدم والتعددية، والتسامح والحرية.

ندعو جميع الأمم والشعوب إلى الانضمام إلينا. سنطلب وسنحتاج مساعدة قوات الشرطة، والخدمات الاستخبارية، والأجهزة المصرفية حول العالم. تعبِّر الولايات المتحدة عن امتنانها لسرعة استجابة العديد من الدول والمنظمات الدولية إلى ندائنا بالمشاركة الوجدانية والدعم. دول من أمريكا اللاتينية، إلى آسيا، إلى أفريقيا، إلى أوروبا ، وحتى العالم الإسلامي. ربما يكون خير مثال يعكس موقف العالم هو ميثاق منظمة حلف شمال الأطلنطي (ناتو) الذي يقول : إن الهجوم على دولةٍ واحدة هو هجوم علينا جميعاً.

يهرع العالم المُتحضِّر إلى نصرة الجانب الأمريكي. إنهم يدركون أنه إذا ما مرَّ الإرهاب دون عقاب، فسيأتي الدور على بلادهم ومواطنيهم، لا يستطيع الإرهاب – دون الرد عليه – إسقاط البنايات فحسب، ولكنه يستطيع أيضاً تهديد استقرار الحكومات الشرعية. إنني أقول لكم: لن نسمح بحدوث ذلك. (تصفيق)

يتساءل الأمريكيون : ما هو المتوقع منا ؟

أطلب منكم أن تواصلوا حياتكم وتعانقوا أطفالكم، أعلم أن الكثير منكم يتملكهم الخوف الليلة، ولكنني أسألكم الهدوء وثبات العزيمة، حتى في وجه ذلك التهديد المتواصل.

أسألكم تدعيم القيم الأمريكية، وأن تتذكروا السبب الذي أتى من أجله الكثيرون إلى بلادنا. إننا في صراع من أجل مبادئنا، والمسئولية الأولى التي تقع على

عاتقنا هى أن نحيا بهذه المبادئ. لا يجب أن نعامل أحداً معاملة ظالمة أو نجرح أحداً بكلمات فظة، لمجرد أنه ينتمى إلى جذور عرقية أو دينية معينة. (تصفيق)

أسألكم مواصلة تدعيمكم لضحايا هذه المأساة ماديًّا ومعنويًّا، يمكن لمن يرغب فى تقديم مساعدته أن يلجأ إلى مصدر رئيسى من مصادر المعلومات - هو موقع على الإنترنت وعنوان بريده الإلكترونى « Libertyunites.org » للكشف عن أسماء الجماعات المختصة بتقديم المساعدات المباشرة فى نيويورك وبنسلفانيا وفيرجينيا.

ربما يحتاج آلاف العاملين بمكتب التحقيقات الفيدرالى القائمين الآن على هذه التحقيقات إلى تعاونكم، لذلك أسألكم أن تمنحوهم إياه.

أسألكم الصبر واحتمال الإجراءات الأمنية التى ستكون أكثر تشدداً، والتى سيصحبها شىء من البطء والإزعاج، وأسألكم الصبر أيضًا على هذا الكفاح الذى سيستمر طويلاً.

أسألكم مشاركتكم الدائمة والثقة فى الاقتصاد الأمريكى. لقد هاجم الإرهابيون رمزاً من رموز الازدهار الأمريكى، لكنهم لم يمسوا منبع هذا الازدهار، إن من أسباب نجاح الولايات المتحدة عملها الجاد، وإبداعنا، وحب شعبنا للمغامرة، لقد كانت تلك هى المقومات الحقيقية لاقتصادنا قبل الحادى عشر من سبتمبر، وستكون هى مقوماتنا اليوم. (تصفيق)

وأخيراً، لتداوموا على الصلاة والابتهال من أجل ضحايا الإرهاب وأُسرهم، من أجل من كانوا فى الخدمة، ومن أجل بلادنا العظيمة. لقد خففت عنا الصلاة فى لحظات الحزن والأسى، وستعطينا القوة فى رحلتنا القادمة.

أود أن أتوجه بشكرى الليلة إلى الشعب الأمريكى، لِمَا قدمه وما

سيقدمه. سيداتي وسادتي أعضاء الكونجرس، أشكركم ومُمثليكم على ما قدمتموه وما ستقدمونه معًا.

إننا نواجه الليلة تحديات قومية مفاجئة وجديدة، سنتّحد لتحسين الأمن الجوى، ولتوسيع عدد الفرق الجوية المسئولة عن الطيران الداخلى، ولاتخاذ إجراءات جديدة لازمة لحماية الطائرات من عمليات الاختطاف. ستتحد لنشر الاستقرار ولمواصلة الطيران الجوى القيام برحلاته، مع تقديم مساعدات مباشرة أثناء هذه الحادثة الطارئة. (تصفيق)

سنتحد من أجل إمداد الدوائر المختصة بتنفيذ القانون بالأدوات الإضافية اللازمة لتعقب الإرهابيين ومعرفة مواطنهم. (تصفيق) سنتحد من أجل تطوير الكفاءات الاستخبارية التى ستمكننا من معرفة الخطط التى يخطط لها الإرهابيون قبل تنفيذها، والعثور عليهم قبل أن يقوموا بأى هجوم. (تصفيق)

سنتحد من أجل اتخاذ خطوات فعالة تساعد على تقوية الاقتصاد الأمريكى وتُعيد إلى أفراد الشعب وظائفهم التى سُلِبت منهم.

نُرحِّب الليلة بزعيمين يجسِّدان الروح الفريدة غير العادية التى يتميز بها جميع ساكنى نيويورك، إنهما الحاكم « چورج باتاكى » والمحافظ « رودلف چوليانى ». (تصفيق) ستعمل حكومتى - باعتبارها رمزًا للعزيمة الأمريكية - مع الكونجرس، ومع هذين الزعيمين أيضًا، لنُظهر للعالم أجمع أننا سنعيد بناء مدينة نيويورك. (تصفيق)

بعد أن انقضى كل ذلك - بعد أن سُلِبت الأرواح وماتت الآمال - من الطبيعى أن نتساءل عمَّا إذا كان مستقبل الولايات المتحدة سيكون مُفْعَمًا بالخوف. البعض يتحدثون عن عصر من الإرهاب. أعلم أن هناك صراعات

مقبلة وأخطاراً سنواجهها. ولكن لن يحدد أحد زمانها إلا نحن، وما دامت الولايات المتحدة الأمريكية ثابتة وقوية فى عزيمتها، لن يكون ذلك العصر عصر الإرهاب؛ سيكون عصر الحرية، هنا وعبر العالم. (تصفيق)

لقد أنزل بنا ضرر عظيم. لقد عانينا خسائر فادحة، وفى لحظات حُزننا اكتشفنا هدفنا وقوة عزيمتنا، إن الخوف والحرية فى حالة حرب. إن تقدم الحرية الإنسانية -التى تُعد أعظم إنجاز فى عصرنا وأعظم الآمال فى كل العصور - يعتمد علينا الآن. سترفع أمتنا - بل هذا الجيل - ذلك التهديد الأعمى الوحشى عن شعبنا ومستقبلنا، سنجمع العالم على هدف واحد بجهودنا وشجاعتنا، لن نكلَّ، لن نتردد، ولن نفشل. (تصفيق)

أتمنى أن تعود الحياة إلى مجراها الطبيعى فى الشهور والسنوات المقبلة، سنواصل حياتنا وأعمالنا الروتينية، وإن هذا لشيء جيد. فحتى الحزن يتراجع ويتقهقر مع مرور الزمان، بفضلٍ ورحمة من الله، ولكن يجب ألا تزول عزيمتنا. سيتذكر كل منا ما حدث ذلك اليوم، ولمن حدث، سنتذكر لحظة سماعنا الأخبار - أين كنا وماذا كنا نفعل - سيتذكر البعض صورةً لحريق، أو قصة إنقاذ، سيحمل البعض ذكريات لوجه أو صوتٍ ذهب إلى الأبد.

أما أنا فسأحمل هذا : إنه دِرْعٌ لرجل من رجال الشرطة يدعى «جورج هوارد» لقى حتفه فى مركز التجارة العالمى أثناء محاولته إنقاذ الآخرين، لقد أعطته لى والدته «أرلين» كتذكار لولدها يبعث على الفخر، سيذكرنا هذا بالأرواح التى سلبت، وبأن هناك مهمة لم تنتهِ بعد. (تصفيق)

لن أنسى هذا الجرح الذى أصاب بلادنا أو مَن سبَّبه، لن أرضخ، لن أرتاح، لن أتهاون فى شن هذه الحرب من أجل حرية الشعب الأمريكى وأمنه.

وعلى الرغم من أن مضمار هذاالصراع غير معلوم، إلا أن نتيجته مؤكدة، لطالما كان الخوف والحرية، العدل والوحشية فى صراع دائم، ولكننا على علم بأن الرب لا يسوى بينها.

المواطنين الأعزاء، سنقابل العنف بالعدالة الصامدة مُتيقنين من صدق قضيتنا وشرعيتها، واثقين أن هناك انتصارات قادمة. ندعو الله أن يمنحنا الحكمة، وأن يحفظ الولايات المتحدة الأمريكية.

أشكركم. (تصفيق)

خطاب لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية

٨ ديسمبر ١٩٤١

● إلى الكونجرس الأمريكى:

تعرضت الولايات المتحدة أمس – السابع من ديسمبر لعام ١٩٤١، وهو يوم سيظل فى ذاكرتنا لما يمثله من عار وفضيحة كبرى – إلى هجوم مفاجئ ومتعمد من قبل القوات البحرية والجوية التابعة للإمبراطورية اليابانية.

لقد عاشت الولايات المتحدة فى سلام ومودة مع هذه الأمة – بناء على التماس من اليابان – كما خاضت العديد من المباحثات مع الحكومة وإمبراطورها بشأن الحفاظ على الأمن والسلام فى منطقة المحيط الهادئ.

بعد ساعة واحدة من قصف الفرق الجوية اليابانية لأوهايو، سلم السفير اليابانى لدى الأمم المتحدة وعدد من مرافقيه إلى وزير الخارجية رداً رسمياً على رسالة كانت الولايات المتحدة قد بعثت بها مؤخراً إلى اليابان، وعلى الرغم من أن مضمون ذلك الرد قد أشار إلى أنه لا جدوى من مواصلة المفاوضات

الدبلوماسية القائمة، إلا أنه لم يحوِ تهديداً أو تلميحًا واحداً بشن حرب أو هجوم مسلح.

سوف يتضح لنا بالإشارة إلى المسافة بين «هاواى» و «اليابان» أن الهجوم كان متعمداً ومخططًا له منذ عدة أيام أو حتى أسابيع، وفى غضون ذلك كانت الحكومة اليابانية تحاول تضليل الولايات المتحدة بإصدار تصريحات كاذبة خادعة تعبر عن أملها فى تحقيق سلام دائم.

لقد سبب الهجوم الذى تعرضت له أمس جزر «هاواى» خسائر فادحة فى القوات البحرية والعسكرية الأمريكية ، حيث فقدت العديد من الأرواح الأمريكية، كما نسفت السفن الأمريكية أيضًا بفعل الألغام البحرية، وكان ذلك فى عرض البحر بين «سان فرانسيسكو» و «هونولولو».

شنت الحكومة اليابانية أمس أيضًا هجومًا على الملايو.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجومًا على هونج كونج.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجومًا على جوام.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجومًا على الجزر الفلبينية.

شنت القوات اليابانية الليلة الماضية هجومًا على جزيرة Wake.

أما هذا الصباح فقد شن اليابانيون هجومًا على جزيرة Midway.

وبذلك شنت اليابان هجومًا مفاجئًا امتد فى كل شبر من الأراضى التابعة للمحيط الهادئ.

إن حقائق الأمس تتحدث عن نفسها، لقد كون الشعب الأمريكى بالفعل آراءه بشأن هذا الهجوم، كما أنه مُدرك أن هذا الهجوم، موجه ضد الحياة ذاتها، وضد أمن أمتنا وأمانها.

باعتبارى القائد المسئول عن الجيش والبحرية الأمريكية، فقد أصدرت أوامرى باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة للدفاع عن أمننا.

دائمًا ما سنتذكر ذلك الهجوم الضارى الذى شن ضدنا.

لا يهم الوقت الذى سنستغرقه فى التغلب على هذا الهجوم المتعمد، حتمًا سينتصر الشعب الأمريكى نصرًا كاملاً بما لديه من قوة أخلاقية صالحة.

أعتقد أننى ترجمت رغبة كل من الكونجرس والشعب، حينما أكدت على أننا لن ندافع فقط عن أنفسنا إلى أقصى حد، ولكننا أيضًا سنتأكد من أن هذا الشكل من أشكال الغدر والخيانة لن يتكرر ثانية ولن يُعرضنا لخطرٍ مرة أخرى.

توجد عداءات؛ لذلك لا يمكننا أن نتغاضى عن حقيقة أن شعبنا وأراضينا ومصالحنا معرضة لخطر داهم.

حتمًا سننتصر فى هذه الحرب؛ ثقة فى قواتنا المسلحة وعزيمتنا غير المتناهية، لذلك فليساعدنا الرب.

لقد طلبت من الكونجرس أن يعلن بدء الحرب بين الولايات المتحدة والإمبراطورية اليابانية منذ أن شنت اليابان هجومها الغادر المستفز على الولايات المتحدة فى يوم الأحد السابع من ديسمبر.

«فرانكلين د. روزفلت»

● خطاب رئيس الجمهورية

مذاع من الحجرة البيضاوية بالبيت الأبيض

تحالف قومى وعالمى

٩ ديسمبر ١٩٤١، العاشرة مساءً

● أعزائى الأمريكيين :

لقد قادتنا تلك الهجمات الإجرامية المفاجئة التى شنها اليابانيون فى المحيط الهادئ إلى ذورة عقد من اللا أخلاقية الدولية. لقد اتحد هؤلاء القتلة الجبارون ليشنوا حربًا على الجنس البشرى برمته، يندفع تحديهم الآن نحو الولايات المتحدة الأمريكية. لقد انتهك اليابانيون السلام الذى طالما دام بيننا، قُتِل العديد من الجنود والبحارة الأمريكيين بفعل العدو، أغرقت السفن الأمريكية؛ دُمِّرت الطائرات الأمريكية أيضًا.

لقد قَبِل الكونجرس والشعب الأمريكى هذا التحدى.

نحن نقاتل الآن مع كل الشعوب الحرة من أجل الحفاظ على حقنا فى أن نعيش مع جيراننا - حول العالم - جنبًا إلى جنب فى حرية، دون خوف من أى هجوم آخر. لقد أعددت بيانًا مفصلاً عن علاقاتنا الماضية باليابان وسيتم تقديمه إلى الكونجرس، يبدأ هذا البيان بزيارة «كومودور بارى» لليابان منذ ثمانية وثمانين عامًا مضت، وينتهى بزيارة اثنين من المبعوثين اليابانيين لوزير الخارجية الأحد الماضى، بعد ساعة واحدة من إطلاق القوات اليابانية قذائفها ومدافعها الرشاشة على العلم الأمريكى، على قواتنا ومواطنينا.

يمكننى أن أقول الآن وكلى ثقة : إنه لا يمكن لأى أمريكى - اليوم أو لآلاف السنين القادمة - أن يشعر بشىء إلا الفخر، بثباتنا ومجهوداتنا عبر السنين نحو تحقيق سلام دائم فى منطقة المحيط الهادئ، وهذا سيدعو أية أمة

للفخر صغيرة كانت أم كبيرة، ولن يتمكن أى شخص صادق أمين – اليوم أو لآلاف السنين القادمة – أن يطمس ذلك الإحساس بالخوف والحنق الذى أثاره الدكتاتوريون اليابانيون العسكريون تحت راية السلام التى حملها مبعوثوهم فى قلب بلادنا.

إن الطريق الذى سلكته اليابان فى آسيا منذ عشرة أعوام مضت يجرى فى خط مواز لذلك الطريق الذى سلكه «هتلر» و «موسولينى» فى أوربا وأفريقيا، أما اليوم فقد أصبح ذلك أكثر من مجرد تواز أو تماثل، إنه تعاون فعلى – مدروس ومتعمد – بين القواد العسكريين فى دول المحور، هدفه تحويل جميع قارات العالم، جميع المحيطات إلى ساحة قتال واحدة ضخمة.

فى عام ١٩٣١ – منذ عشرة أعوام – غزت اليابان «Manchukuo» دون أى إنذار، وفى عام ١٩٣٥ أغارت إيطاليا على أثيوبيا دون أى إنذار، وفى عام ١٩٣٨ احتلَّ «هتلر» الأراضى النمساوية دون أى إنذار، وفى عام ١٩٣٩ أغار «هتلر» على تشيكوسلوفاكيا دون أى إنذار، وبعد ذلك فى نفس العام، أغار «هتلر» أيضًا على بولندا دون إنذار، وفى عام ١٩٤٠ غزا «هتلر» النرويج، والدنمارك، وهولندا، وبلچيكا ولكسمبورج – دون إنذار. وفى عام ١٩٤٠ شنت إيطاليا هجومًا على فرنسا وبعدها اليونان دون أى إنذار.

وفى هذا العام –١٩٤١– شنت دول المحور هجومًا على يوغوسلافيا واليونان وأحكموا سيطرتهم على البلقان دون أى إنذار. فى عام ١٩٤١ –أيضًا– أغار «هتلر» على روسيا دون أى إنذار، والآن قامت اليابان بشن هجوم على الملايو وتايلاند – والولايات المتحدة – دون إنذار. يُعَدُّ كل هذا مثالاً لنمط واحد.

نحن الآن فى هذه الحرب، جميعنا فى هذه الحرب، كل رجل مستقل

وامرأة وطفل شريك فى مشروع الحفاظ على تاريخنا الأمريكى، يجب أن نتشارك الأخبار المُحزنة والأخبار المُفرحة، الهزائم والانتصارات ومصائر الحرب المتغيرة.

إن الأخبار مُحزنة حتى الآن، لقد لقينا هزيمة كبرى فى هاواى، ولقيتْ قواتنا فى الجزر الفلبينية – التى تحوى أشجع الرجال – أقسى عقاب وهى تحاول المقاومة والدفاع عن نفسها بقوة وضراوة. لا زالت التقارير التى جاءت من جوام و Midway & Wake مشوشة بعض الشيء، ولكن يجب علينا أن نتأهب لأن نعلن أن جميع القواعد العسكرية الموجودة فى تلك الأماكن قد تم الاستيلاء عليها ومحاصرتها.

لا شك أن القوائم المُدوَّن بها أسماء القتلى والجرحى ستكون كبيرة، أشعر فى أعماقى بذلك القلق الذى تشعر به أسر الضحايا من رجال قواتنا المسلحة وأقارب الضحايا فى المدن التى تم قصفها، كل ما يمكننى أن أفعله هو أن أتعهد أمامهم بأنهم سيتلقون أخباراً جديدة فى أسرع وقت ممكن. سوف تضع هذه الحكومة ثقتها فى قوة الشعب الأمريكى وقدرته على الاحتمال، ولن نعرض الحقائق على الشعب إلا إذا توافر فيها شرطان :

الأول : أن تكون المعلومات واضحة ومؤكدة من جهة رسمية.

والثانى : ألا تكون المعلومات التى يتم السماح بنشرها ذات قيمة بالنسبة للعدو ، سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

أناشد بقوة سكان الريف أن ينبذوا الإشاعات والمروِّجين لها، خاصة وأنها سريعة الانتشار فى وقت الحرب، يجب عليهم أولاً أن يتحققوا منها ويقوموا بتقييمها.

وكمثال على ذلك، يمكننى أن أخبركم بكل صراحة أنه لن تتوفر لدى

المعلومات الكافية التى تمكننا من تحديد مدى الضرر الذى تعرضت له سُفننا البحرية فى « بيرل هاربر » إلا بعد أن نقوم بإجراء تقييم شامل للموقف، لا شك فى أن الضرر سيكون بالغًا، ولكن لن يستطيع أحد أن يذكر مدى هذا الضرر حتى نعرف إلى أى مدى يمكننا إصلاح هذا الضرر وتعويضه والوقت الذى سنستغرقه لتحقيق ذلك.

أود أن أورد مثالاً آخر، هو ذلك البيان الذى أُلقى مساء الأحد، ويذكر أن حاملة الطائرات اليابانية هبطت بعيداً عن منطقة القناة. عندما تسمعون تلك التصريحات التى يطلقون على المصادر التى وصلت من خلالها « مصادر موثوق بها » يمكنكم التأكد - من الآن فصاعداً - أنه فى ظل ظروف الحرب تلك لا يكون « المصدر الموثوق به » أى شخص فى السلطة.

لا شك فى أن تلك الإشاعات والتقارير العديدة التى نسمعها الآن مَنْشَؤُها العدو، فنجد اليابانيين اليوم - مثلاً - يدَّعون أنهم استطاعوا تحقيق التفوق والسيادة البحرية فى منطقة المحيط الهادئ نتيجة لهجومهم الوحيد على « هاواى »، تلك خدعة قديمة لجأ إليها النازيون لمرات لا حصر لها من أجل ترويج ونشر الدعاية لانفسهم، تهدف كل هذه الادعاءات الوهمية إلى نشر الخوف والاضطراب بيننا، وإلى حثّنا على كشف معلوماتٍ عسكرية يتهلف الأعداء للحصول عليها.

لن تقع حكومتنا فى هذا الفخ، ولا أبناء الولايات المتحدة أيضًا.

يجب ألا ينسى كل فرد فينا ضرورة أن يتم حصر الاتصالات العاجلة المستقلة الخاصة بنا فى ذلك الوقت، فلا يمكن استقبال تقارير كاملة دقيقة وعاجلة من مناطق القتال البعيدة. يُعد ذلك أمراً مهمًّا فيما يتعلق بالعمليات البحرية؛ ففى عصر اللاسلكى يستحيل على القادة من مختلف الوحدات أن

يعلنوا عن أنشطتهم باستخدام الموجات اللاسلكية؛ لأن المعلومات المُرسلة ستكون بذلك متيسرة لدى العدو الذى سيتمكن من تحديد مواقعهم والخطة التى ينتوون القيام بها دفاعية كانت أو هجومية.

لذلك سنكون فى حاجة إلى أن نُرجئ التأكيد الرسمى لتقارير العمليات أو تكذيبها، ولكننا لن نُخفى أية حقائق عن الشعب طالما أننا نعرفها، وطالما أن العدو لن يستفيد من الإفصاح عنها.

إلى كل المحطات الإذاعية والصحفية - كل من يصل إلى أعين ومسامع الشعب الأمريكى - أقول هذا : لديكم مسئولية كبرى تجاه الأمة الآن وطوال مُدَّة هذه الحرب.

إذا ما شعرتم أن حكومتكم لا تكشف الحقيقة كاملة، فلديكم الحق كاملاً فى أن تقولوا ذلك، أما إذا لم تكشف المصادر الرسمية عن أية حقائق فلن يكون ديكم أدنى حق - كأمريكيين وطنيين - فى أن تنشروا تقارير غير مؤكدة وتذيعوها على الناس بطريقة تجعلهم يعتقدون أنها حقائق مطلقة لا ريب فيها، يجب على كل مواطن فى مختلف حقول الحياة وميادينها، أن يشارك فى هذه المسئولية.

تعتمد أرواح جنودنا وبحَّارَتنا - مستقبل هذه الأمة - على الأسلوب الذى يتبعه كل فرد فينا للوفاء بواجباته والتزاماته تجاه بلادنا. الآن كلمة عن الماضى القريب والمستقبل: لقد انقضى عام ونصف منذ سقوط فرنسا، عندما أدرك العالم لأول مرة أن دول المحور قد طوَّرت وزادت من القدرات الآلية لأعوام عديدة، لقد استغلت الولايات المتحدة هذه الفترة (عامًا ونصف العام) لصالحها. علمًا باحتمال أن يُشن هجوم وشيك ضدنا، بدأنا على الفور فى تنمية قوتنا الصناعية وقدرتنا الاقتصادية، وذلك للوفاء بمطالب الحرب الحديثة.

اكتسبت شهور عديدة قيمة من خلال إرسال كميات ضخمة من موادنا الحربية إلى دول العالم التى لا زالت قادرة على صد عدوان دول المحور. ترتكز سياستنا على حقيقة جوهرية، وهى أن القوة الدفاعية لأية دولة تقاوم «هتلر» أو «اليابان» هى فى النهاية القوة الدفاعية لبلادنا، لقد تم تأييد هذه السياسة، لقد منحتنا الوقت، وقتًا ثمينًا – لبناء خطوط الإنتاج التجميعية الأمريكية.

يجرى العمل الآن بخطوط التجميع، وهناك خطوط أخرى فى طريقها إلى مرحلة الإتمام، لقد منحتنا هذه الشهور الثمانية عشر الكثير، لقد منحتنا موردًا متجددًا من الدبابات والطائرات، والمدافع والسفن، والقذائف، والكثير من المعدات الحربية الأخرى.

ولكن ما هذه إلا بداية للكثير من الأمور التى يجب علينا القيام بها، يجب علينا أن نتأهَّب لمواجهة حربٍ طويلة ممتدة ضد لصوص جبارين ماكرين، يمكن أن يتكرر الهجوم على «بيرل هاربر» فى أى وقت، وفى العديد من المواقع، مواقع فى كِلا المحيطين وعلى طول حدود سواحلنا، يمكن أن يتكرر أيضًا ضد بقية الدول فى النصف الآخر من الكرة الأرضية.

لن تكون حربًا ممتدة فحسب، وإنما ستكون حربًا شاقة. ذلك هو الأساس الذى نبنى عليه كل خططنا الآن. ذلك هو المعيار الذى سنقيس به ما الذى سوف نحتاجه من أموال، ومواد، إنتاج مضاعف أو إنتاج متضاعف أربع مرات، لا يجب أن يكون الإنتاج من أجل الجيش والبحرية والقوات المسلحة الأمريكية فقط، وإنما يجب أن يدعم الجيوش والقوات المسلحة الأخرى التى تقاوم النازيين وملوك الحرب اليابانيين فى كل شبر من الأراضى الأمريكية – سواء الشمالية أو الجنوبية – وعبر العالم، لقد كنت أبحث اليوم فى موضوع الإنتاج، وصلت حكومتكم إلى قرارٍ بشأن سياستين رئيسيتين:

الأولى: هى العمل على سرعة زيادة الإنتاج، من خلال العمل المتواصل طوال الأسبوع فى أى صناعة حربية، بما فى ذلك إنتاج المواد الخام اللازمة.

السياسة الثانية : يجرى الآن وضعها فى حيِّز التنفيذ، وهى إدخال إضافات جديدة للسعة الإنتاجية، عن طريق بناء وحدات صناعية جديدة، وإدخال إضافات إلى الوحدات الصناعية العظيمة، واستخدام الوحدات الصناعية الصغيرة للوفاء بحاجات الحرب.

منذ بداية الطريق الشاق الذى سلكناه فى الشهور الماضية وحتى نهايته، واجهتنا بعض العقبات، والصعوبات والانقسامات والخلافات، اللامبالاة والقسوة.

لقد انقضى كل ذلك الآن، بل نُسِى تمامًا.

الحقيقة هى أنه لدينا الآن منظمة فى واشنطن مؤلَّفة من رجال ونساء معروفين بخبرتهم كل فى مجاله، أعتقد أنكم تعرفون أن هؤلاء الأشخاص – بما لديهم من مسئولية فعلية تقع على عاتق كل واحد منهم – يحاولون استجماع قواهم بالتعاون مع إحدى فرق العمل التى لم يُعرف لها نظير قبل الآن.

فى طريقنا الآن يكمن العمل الجاد – العمل المنهك – ليل نهار، كل ساعة وكل دقيقة.

كنت على وشك أن أضيف أنه فى طريقنا أيضًا تكمن التضحية من أجل كل فرد فينا.

ولكنه من الخطأ أن أستخدم هذه الكلمة، فالولايات المتحدة لا تعتبرها تضحية أن يقوم الفرد بكلِ ما فى وسعه، أن يكرِّس جميع مجهوداته من أجل أمته التى تقاوم من أجل بقائها وحياتها المستقبلية.

إنها ليست تضحية بالنسبة لأى رجل، مُسنٌ أو شاب، أن ينضم إلى الجيش أو البحرية الأمريكية، بل إنه امتياز يُمنح إياه.

إنها ليست تضحية بالنسبة للصانع أو الأجير، المزارع أو صاحب المتجر، عامل القطار أو الطبيب أن يدفع ضرائب أكثر، أن يشترى سندات أكثر، أن يُضيِّع فرصة الحصول على أرباح إضافية، أن يعمل لفترة أطول وبجدية أكثر فى المكان الذى يلائمه. بل إنه امتياز يُمنح إياه.

إنها ليست تضحية أن نستغنى عن العديد من الأشياء التى اعتدنا عليها، إذا كان الدفاع القومى يتطلب ذلك.

لقد بحثت هذا الصباح فى أمور عديدة، وهذ البحث قادنى إلى نتيجة مهمة هى أنه لا يجب علينا فى الوقت الحاضر أن نُقلِّص الاستخدام الطبيعى للمواد الغذائية. فهناك طعام كافٍ من أجلنا اليوم، وطعام كافٍ أيضًا لأن نرسله إلى من يقاتلون إلى جانبنا.

ولكن سيكون هناك نقص واضح فى المعادن ذات الاستخدامات المدنية المتعددة، ويرجع ذلك بالطبع إلى أننا فى هذا البرنامج المتنامي سنحتاج -لأغراض حربية- إلى أكثر من نصف حصتنا من المعادن الرئيسية التى دخلت خلال السنوات الماضية ضمن الاستخدام المدنى. نعم، يجب علينا أن نتخلى تمامًا عن العديد من الأشياء.

وإننى واثق من أن الناس فى كل شبر من هذا الوطن مستعدون للانتصار فى هذه الحرب، واثق من أنهم سيُسْهمون - عن طيب نفس - فى دفع جزء كبير من تكلفتها المالية، بينما هى دائرة، واثق من أنهم سيتخلون عن تلك الأشياء المادية التى طُلب منهم التخلى عنها، وإننى واثق من أنهم سيُبْقون على تلك الأشياء الروحية العظيمة التى لا يمكن بدونها التغلب على المصاعب، أكرر أن الولايات المتحدة لن تقبل إلا النصر التام والحاسم، لا يجب محو الغدر

اليـابانى فـحسب، وإنما يجب تحطيم جـمـيع المصادر الوحشـية الدولية أيضًـا وإضعافها أينما وجدت.

قلت فى رسالتى للكونجرس أمس: إننا سنعمل من أجل التأكيد على أن ذلك الشكل الخائن والغادر لن يُعرِّضنا لأى خطر مرة أخرى». كى نحقق ذلك؛ يجب أن نبدأ تلك المهمة الكبرى التى تتمثل أمامنا فى عدم تصديق هذا الوهم بأننا سنعزل أنفسنا عن باقى الجنس البشرى.

لقد تعلمنا درسًا قاسيًا فى السنوات القليلة الماضية، وكان الدرس أكثر قسوة فى الأيام الثلاثة الماضية.

يتمثل واجبنا نحو الموتى – إنه واجبنا المقدَّس نحو أبنائهم وأبنائنا – فى ألا ننسى أبدًا ما تعلمناه.

وها هو ما تعلمناه:

لا يوجد شىء تعتز به أية أمة – أو أى فرد – مثل أمنها فى عالم تحكمه قوانين القتلة، لا يوجد شىء تعتز به أية أمة مثل دفاعها الحصين ضد أعداء جبارين تسللوا فى الظلام ووجَّهوا ضربتهم دون أى إنذار.

لقد تعلَّمنا أن منطقة المحيط الهادئ غير مستثناة من أى هجوم عدوانى عليها.

لقد تعلمنا أنه لا يمكننا أن نقيس مدى الأمن الذى نتمتع به على أساس بُعْد الأميال. يمكننا الاعتراف بأن أعداءنا قد نجحوا فى القيام بعمل خداعى فَذٍّ، حُدِّد له التوقيت المناسب، وتم تنفيذه بمهارة كبرى، لقد كان عملاً مُخزيًا شائنًا، ولكن يجب علينا أن نواجه حقيقة أن الحرب الحديثة التى تُدار بالأساليب النازية ما هى إلا عمل قذر حقير. نحن نبغضها، لا نرغب فى الدخول فيها، ولكننا فيها بالفعل، لذلك سنُقاتل بكل ما أوتينا من قوة.

لا أعتقد أنه لدى أى أمريكى أدنى شك فى قدرتنا على إنزال العقاب الصارم بمرتكبى هذه الجرائم. تعرف حكومتكم أن ألمانيا قد ظلت لأسابيع تُخبر اليابان وتُحذِّرها من أنه إذا لم تشن هجومًا على الولايات المتحدة، فلن تشاركها تقسيم الغنائم التى سلبتها عندما يحل السلام، لقد وعدتها ألمانيا بأنها إذا دخلت الولايات المتحدة فستكون لها بذلك سيطرة كاملة ودائمة على المحيط الهادئ برمتها ، ولا يعنى ذلك الجانب الشرقى فقط، وإنما كل الجزر التابعة للمحيط الهادئ أيضًا، وستكون لها أيضًا السيطرة الخانقة على الساحل الغربى من شمال ووسط وجنوب أمريكا، نعرف أيضًا أن ألمانيا واليابان تديران عملياتهما العسكرية والبحرية وفقًا لخطة مشتركة، تنظر هذه الخطة إلى كل الشعوب وكل الأمم التى لا تقدم يد المساعدة لدول المحور باعتبارها عدوة لها.

تلك هى خطتهم الكبرى؛ لهذا يجب على الشعب الأمريكى أن يدرك أن هذه الخطة يمكن أن تتناسب فقط مع خطة كبرى مشابهة لها، يجب علينا أن ندرك أن النجاحات التى حققها اليابانيون ضد الولايات المتحدة فى المحيط الهادئ ستكون مُعينة لألمانيا فى العمليات التى تقوم بها فى ليبيا، وأن أى نجاح ألمانى ضد القوقاز سيكون حتمًا مُعينًا لليابان فى عملياتها ضد هولندا، وأى هجوم ألمانى ضد الجزائر أو المغرب سيفتح الطريق أمام ألمانيا للهجوم على جنوب أمريكا والقناة.

فى الجانب الآخر من الصورة، يجب أيضًا أن نتعلم كيف أن حرب العصابات ضد الألمان – لنقل فى صربيا والنرويج – ستساعدنا، فأى هجوم روسى ناجح ضد الألمان سيساعدنا، وأى نجاحات بريطانية – سواء فى البر أو البحر – فى أى منطقة من العالم ستقوِّى سواعدنا.

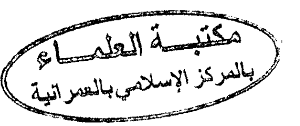
لتتذكّروا دائمًا أن كُلاً من ألمانيا وإيطاليا - بغض النظر عن أى إعلان رسمى للحرب - يعتبران أنهما فى حالة حرب مع الولايات المتحدة فى هذه اللحظة، مثلما يعتبرون أيضًا أنهم فى حالة حرب مع بريطانيا أو روسيا. تضع ألمانيا جميع الجمهوريات الأمريكية الأخرى فى زمرة أعدائها.

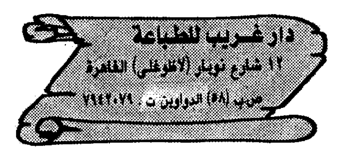
إن الهدف الحقيقى الذى ننشده أسْمَى من ميدان مروِّع للقتال، عندما نلجأ إلى استخدام القوة - كما يتوجب علينا الآن أن نفعل ذلك - نُصر على أن هذه القوة ستتجه نحو الصالح العام، وستتجه أيضًا ضد أى شرٍ وشيك. نحن الأمريكيين لا نهدم، بل نبنى.

نحن الآن فى غمرة الحرب، إنها ليست حربًا من أجل الانتقام أو الاستيلاء على أراضٍ غير أراضينا، وإنما هى حرب من أجل عالم تحيا فيه أمتنا، وسيظل كل ما تُمثِّله هذه الأمة وهذا الشعب آمنًا من أجل أبنائنا. نتوقع أن نستأصل الشر من اليابان، ولكننا سنتأثر سلبًا إذا قُمنا بتحقيق ذلك ووجدنا أن باقى العالم يحكمه كل من «هتلر» و «موسوليني».

لذلك سنفوز بهذه الحرب، وسنفوز بالسلام الذى يعقبها.

وفى تلك الساعات العصيبة التى تمر علينا فى هذا اليوم، سنعرف أن الأغلبية العُظْمى من أعضاء الجنس البشرى تقف إلى جانبنا، يقاتل الكثيرون منهم إلى جانبنا، جميعهم يصلى من أجلنا، فتمثيل قضيتنا هو تمثيل لقضيتهم، أملنا وأملهم فى تحقيق الحرية تحت رعاية الله وأمنه.




دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (الظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت. ٧٩٤٢٠٧٩